

**على قيامة الروح**

تصميم الغلاف

صالح محمود سامان

# على قيثارة الروح

مجموعة شعريّة

كُتبت القصائد عام ٢٠٠٩

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٦م

---

على قيثارة الروح: مجموعة شعرية / صالح محمود  
سلمان . - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب،  
٢٠١٦ م. - ٢٦٤ ص؛ ٢٠ سم. (من الشعر العربي؛ ٢٣٠).

١ - ٨١١.٩٥٦١ س ل م ع  
٢ - العنوان  
٣ - سلمان  
٤ - السلسلة  
مكتبة الأسد

---

من الشعر العربي

«٢٣٠»

# الإهداء

إلى العقول الواعدة

خلفَ هذا الحصار

الذّاكن

صالح



## في دفتر الشاعر

---

---



## الاستهالات

### استهلالٌ أولٌ

#### القصيدة

إِنَّهَا قِطْعَةٌ مِنْ نَشِيجٍ يُرْجَعُهَا الطُّفْلُ

فَوْقَ السَّرِيرِ الَّذِي

نَاءَ عَنْ حَمَلِ حِرْمَانِهِ

فَانكَسَرَ

إِنَّهَا قِطْعَةٌ مِنْ حَرِيرِ الْكَلَامِ

اشْتَهَاها غُلامٌ فَحَمَلَهَا قَلْبُهُ

ثُمَّ طَارَتْ إِلَى آخِرِ الصَّوْتِ

مَسْكُونَةٌ بِالسَّفَرِ

إِنَّهَا قِطْعَةٌ مِنْ مَسَاءٍ

يُزِينُهَا كُلَّ حِينٍ بِرِيشَتِهِ عَاشِقٌ

فَرَّ مِنْ قَلْبِهِ ذَاتَ لَحْنٍ وَتَرٌّ

إِنَّهَا لَيْلَةٌ مِنْ لِيَالِي غِنَائِيَّةٍ

أَيْقَظَ الصُّبْحُ إِيقَاعَهَا

وَهِيَ تَسْعَى إِلَى مَوْعِدِ

تَحْتَ نَايِ الْمُحِبِّينَ

مَرُّوا عَلَى نَهْرِهَا ذَاتَ هَمْسٍ

وَصَارُوا عَلَى حَقْلِهَا

فُسْحَةً مِنْ شَجَرٍ

إِنَّهَا لَوْحَةٌ فَوْقَ صَدْرِ الْبِلَادِ  
الْأَمَانِي يُرَاوِدُهَا كُلَّ جُرْحٍ  
وَيَسْكُبُهَا النَّبْعُ فِي كَأْسِهِ  
ثُمَّ يَمْضِي إِلَى آخِرِ الْمَاءِ  
تَخْشَى حَقِيقَتَهَا الْيَدُ  
فِي صَدْرِهَا أَلْفُ سَهْمٍ  
يُسَدُّهُ مِنْحَدَرٌ

إِنَّهَا بَاقَةٌ مِنْ نُجُومٍ  
يُشَكِّلُهَا كُلَّ يَوْمٍ هَلَالٌ  
فِيهِوَى غِلَالَتِهَا الصُّبْحُ  
يَمْشِي عَلَى دَرَبِهَا مِثْلَ طِفْلِ

يُحَدِّثُهَا عَنْ فِضَاءٍ لَهُ طَعْمٌ نَارُنْجِيَّةٍ

مِنْ مَرَايَا الصَّغَرِ

إِنَّهَا وَثْبَةٌ

لَيْسَ يَأْتِي إِلَى رُوحِهَا الضَّعْفُ

أَوْ يَقْدِرُ الْمَوْتُ أَنْ يُطْفِئَ الْوَهْجَ فِي نَارِهَا

فَهُوَ (يَامَا) عَلَى حَدِّهَا

نَاءَ طَوْفَانُهُ فَانْحَسِرْ ..

## استهلالٌ ثانٍ ومضاتٌ

- ١ -

وكنْتُ إن رأيتُ غيمةً تطيرُ في السَّماءِ  
أقولُ : هذه الأقماعُ في المدى تجولُ  
طحينها يُقَمَّرُ الحُدودَ في طُفولةِ الغناءِ  
ويرسمُ الشُّفاهَ في دفاترِ الفصولِ

- ٢ -

زَرَعْتُ في طريقك الأشواكُ  
وقُلْتُ : لن تجيءُ

- ١٣ -

فَرَّاحٌ مِنْ سَتَائِرِ الشُّبَّانِ  
يُطِلُّ وَجْهَكَ الْمُضِيِّ

- ٣ -

كَتَبْتُ فِي جَرِيدَةِ الصَّبَاحِ  
حِكَايَةً عَنْ طِفْلَةٍ تَنَامُ فِي الْحَبَقِ  
وَمَرَّ بِي خَيَالُهَا وَفَاحٌ  
فَرُحْتُ مِنْ وِشَاحِهَا  
أَلْمَلِمُ الْعَبَقِ

- ٤ -

تَقُولُ لِي حَدِيقَةٌ مُعَلَّقَةٌ  
فِي بُحَّةِ النَّدَاءِ

- ١٤ -

هنا الرؤى قصيدة معتقة

عن عاشقٍ يقيمُ في السماء

- ٥ -

جمعتُ من عرائس الكروم

كواكباً تشعُّ في الدنان

إذا رأيتَ في مدارها النجوم

شهيّةً كوجنةٍ في هالة الجمان

فقبل الشعاع في شفاهها

عليك في رحابها الأمان

- ٦ -

كأنني سمعتُ خلفَ همسك النهار

- ١٥ -

يقولُ لي : تعالَ كي أُريكُ

شِغافَها يَبسُوحُ بالأسرارِ

من شوقِها إلَيكَ

-٧-

تَنائِثُ البَريقِ من يديهِ

على فَمي

كَأنَّه العَبقُ

دَوْنَتُهُ في دفتري قَصيدةٌ أزفُها إلَيهِ

لكنَّهُ ...

من وَهَجِها احترقُ ..

-١٦-

- ٨ -

لأَتْنِي أَعْرَفُهُ

أَقُولُ : هَذَا الْحُبُّ

لَوْلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُنِي

لَقَالَ : تَاهَ الدَّرْبُ

- ٩ -

وَمَرَّ بِي عَلَى عَجَلٍ ..

وَقَالَ لِي :

سَاحِرَةٌ مَفَاتِنُ السُّؤَالِ

( كَمَنْزِلٍ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلٍ ) ..

كَأَنَّهُ مِنْ عَالَمٍ يُقِيمُ فِي الْخِيَالِ

- ١٧ -

- ١٠ -

أَضَعْتُ فِي جَدِيلَةِ أَصَابِعِي ..

مَنْ جَاءَنِي

وَبَعْدَ أَنْ نَسِيتُ أَنَّي أَضَعْتُهَا

يُعِيدُهَا جَدِيلَةً كَانَتْ مَعِي

أُظَنُّنِي نَسِيتُهَا!؟

- ١٨ -

## استهلالٌ ثالث

- ١ -

جاءت تُلمِّمُ ما تَنَاطَرَ من أحاديثِ الأُحِبَّةِ

خلفَ بابِ اللَّيْلِ

تَجَفَّلُ إذ تَرَانِي واقفاً

يَتَسَلَّقُ اللِّبَابُ نافذةً على صدري

ويتركُ ظلَّهُ ..

هل أسبكتِ جفنيْنِ في صمْتِ

ومالتِ كي أرى الكلماتِ

تَهْطُلُ من فضاءِ الروحِ؟

- ١٩ -

هل تَرَكَتْ سَمَاءَ الصَّحْوِ

كِي تَلَجَ الغيومَ السُّودَ فِي خَفَرٍ

فأحْلَمَ بالصدى ؟

قالت لها شفتان ترتعشانِ فِي وَلِيهِ :

هُنالك خَلْفَ نافذةٍ تَرَاءَتْ شِبْهُ عَيْنِ

كان قنديلٌ صَغِيرٌ فِي سَرِيرِ الوَقْتِ يَحْلُمُ

طفلةٌ تَرَكَتْ على سُورِ المَدِينَةِ واردةً حمراءَ

صوتٌ هامسٌ كالذَّفءِ يَسْرِي من أناملها جَوَى ..

هي نَجْمَةٌ ....

لكنَّ ضوئاً كان يَنمو فوقَ وَجنتِها

فِيرسُمُ لَوْحَةً :

تلك الصَّبِيَّةُ مَنْ تَكُونُ ؟!

وذلك العصفورُ

هل سكبت عليه سُلَافَةَ الألوَانِ

كي يبدو سعيداً مثلَ نَرَجِسَةٍ

يُداعبُ ثغرها صوتٌ فترقصُ؟

أيُّ إكليلٍ تهادي

حينَ باشرتِ الصُّعودَ إلى الأعلي

في مَرَاكِبَ من هُيامٍ؟

هي رغبةٌ خَلَعَتْ عَلَيْكَ شَفِيفَ بُرْدَتِهَا

فَأَشَعَلَتْ المَوَاقِدَ فِي بُرودَةٍ هَذِهِ الأَجْسَادِ

أَحْيَيْتَهَا لِتَفْتِيحِ المَوَاسِمِ

هل رأيتَ على أناملِهَا حروفَ العَشِقِ

تَلْتُمُهَا طَيورٌ، أو تُنَاسِمُهَا عُطُورٌ؟

قُلْتَ : شَهْوَتُهَا تُحَلِّقُ بِي إِلَى الْأَمْدَاءِ

فِي قَلْبِي

يُورِّقُنِي لَمَّا هَا كَلَّمَا افْتَرَّتْ شِفَاهُ

النَّبْعِ عَنِ عَذْبِ الْكَلَامِ

هِيَ نَشْوَةٌ

فاحمل إلينا حينَ تَجْمَعُنَا الْقَصِيدَةُ

تَحْتَ أَفْيَاءِ النَّسَائِمِ

قُبْلَةً تَنْمُو عَلَى فَمِهَا الْمُدَامُ

- ٢ -

كَلَّمَا جِئْتُ كِي أَبْدَأُ الْقَوْلَ أَرْجَعَنِي صَوْتُهُ

قَالَ : إِبْدَأُ

- ٢٢ -

ولكن بعيداً عن الآخرين  
فهم ينظرون إلى جهةٍ فيهمُ  
أنتَ أنظرِ إلى حيثُ بوصولُ الروحِ  
قالت: هُنا البدءُ

هَلَا بدأتَ من الغيمِ ينعي السَّرابَ ؟

- السَّرابُ استعدَّ لميَّتتهِ من زمانٍ  
فَرَشَّ البِذارَ على رملنا..

قالَ : إبدأ من الرَّمْلِ

قلتُ : الرَّمالُ نهايتنا ..

- ابدأ الآنَ من وَمضةٍ أخرجتها الرياحُ

مِنَ الرَّمْلِ

أَيَقِظُ بِهَا الطَّيْنُ فِي أَحْرَفِ المَجْمَرَةِ

قلتُ : هذي البدايةُ محروقةٌ

لي أنا مثلما قلتُ بوصلةُ

وجَّهتني إلى نُقْطَةٍ فوق نُونِ النَّدى

علَّمتني قراءتها

كوكباً يُجْرِجُ النُّورُ من كافِهِ أَحْرَفَ المُبتدى

قالَ : احمِلْ إِذا وَزَرَ هذي البدايةِ

لا تنتظرُ مَغْفِرَةً

إنَّ أَتَتْكَ الرِّياحُ

على مَنَها كُلُّ أوزارِ تلكِ الصَّحارى

وقد كُنْتَ ألقيتها خلفَ ظَهْرِ الخيالِ

استعدِّ لو ثبتها المُنكَرَةَ

- ٣ -

ليلاً تُضيءُ لي الطريقَ فَرَاشَةً

فأطيرُ نحوَ غزالتِي

بجناحيَ الظمآنِ للضوءِ القصيِّ

موسداً رأسي شهابَ القلبِ

يبتهجُ الكلامُ إذا المعاني

جُلنَ في رُدْهاته ويُضيئُني

فأسيرُ في مُتناوَلِ السّنواتِ صَباً

فإذا عَزَفْتُ على الضلوعِ قصائدي

عَبَقاً تُوقِّعه المُنَى

وجمعتُ ما نثرتُ شفاهُ اللَّحْنِ من دُرِّ

وطافَ اللؤلؤُ المكنونُ في بحرِ الفؤادِ

حديقةً للشُّوقِ

تَجَعِّلُني أَعْرُدُّ في فضاءِ عامرٍ

- ٢٥ -

بَطِیُوفٍ مِّنْ عَبْرٍ وَاجْرَاحِ الْقَلْبِ حُبًّا

وَيَطِيرُ بِي نَجْمٌ

تَنْزَلُ مِنْ مَجْرَتِهَا

إِلَيْهَا

قَلْتُ : هَذَا النَجْمُ بَوْصَلَةُ الْفؤَادِ

وَهَذِهِ الْأَمْدَاءُ مِنْ عَبَقِ وَرُؤْيَا

تَنْسُجُ الْأَطْيَارُ بِهَجَّتِهَا

عَلَى نَوْلِ شَفِيفِ الرُّوحِ

تَأْخُذُنِي الْفَرَّاشَةُ مِنْ يَدِي

وَتَغْلُ فِي لُغَةِ الْبِنْفَسِجِ

لَمْ يَزَلْ حُلْمِي يُدَاعِبُهَا

فِيصْدَحُ لِحْنُهَا فِي الدَّرْبِ عَذْبًا ..

## تَعْقِيبٌ

لِلْحُلْمِ كَوْكَبَةٌ تَمُرُّ عَلَى الْمَقَاعِدِ خُلْسَةً

فَتُطَلُّ مِنْ عَيْنٍ هُنَاكَ حَدِيقَةٌ

يَتَبَادَلُ الْعُشَّاقُ فِي أَطْرَافِهَا مَتْنِ الْحَدِيثِ

يُقْبَلُونَ الزَّهَرَ فِي ثَغْرِ الْحِكَايَةِ

يَتَرَعُونَ الْكَأْسَ مِنْ خَمْرٍ تُعْتَقُّهَا الْقِصَائِدُ

فِي مَجَامِرِهَا

فِي تَهْجِ الْكَلَامِ

وَيَصِيرُ يَقْطِفُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْمَعَانِي

هذه لغةٌ تفتحُ زهرها في الأفقِ  
مُنعتقاً من الأصداءِ  
فارعةٌ كقاماتِ الضياءِ البيضِ  
في كُتبِ النوارسِ  
بَصَّةٌ كشافِ سوستينِ في حقلِ الطفولةِ  
ليس يحجبها ظلامٌ  
هي كوكبٌ ينمو على يدهِ فلكٌ  
هي ومضةٌ في حضنها تنمو النجومُ  
فنجتلي منها ملكٌ  
يُلقي على أطلالِ هذي الأرضِ بَسْمَتَهُ  
فتنهضُ من تبعثُها بلادٌ  
ليس يعرفوها فصامٌ ..

## تَحذِير

لا تَكُنْ مُوَلَّعاً بِالْحِسانِ

الْحِسانُ جَمالٌ على أَهْبَةِ الغُنْجِ

يُكْتَبَنُ بِالْكُحْلِ أَسْماءَهُنَّ على مِرْوَدِ غامِضٍ

ثُمَّ يَذْهَبْنَ في كَرَزِ غامِقٍ في الشِّفاهِ

لا تَكُنْ مُوَلَّعاً بِالْكَلامِ

الْكَلامُ فَراشٌ على شُعْلَةٍ في البَعِيدِ

شُموْعٌ على حافَّةِ الرِّيحِ تَبْكي

زماناً يُغْلَفُهُ المِيتُونَ بِأَكْفَانِهِمْ

بعد فَضْلِ المِتَاءِ

لا تُكُنْ شاعِراً

أَيُّ شِعْرِ هَذَا الَّذِي كُنْتَ تَتْلُوهُ فِي

حَضْرَةِ القَلْبِ

تَنْدَى بِأَحْرَفِهِ السُّوسَنَاتُ الغَرِيرَاتُ

يَقْطِفْنَ مِنْ ثَغْرِهِ قُبلاً مَا جَنَاتِ

يُجَبِّئُهُ تَحْتَ قُمَصَانِهِ

وَيَرَوِينِ أَخْبَارَهُ لِلْمَسَاءِ

يُسَامِرُنَهُ

كُلُّ إِصْغَائِهِنَّ لَهُ

وَلَهُ الوَرْدُ وَالنَّهْدُ

والأعينُ الناعساتُ  
المَواويلُ والدربُ  
والكتبُ المدرسيَّةُ  
والوقتُ من أوَّلِ الظلِّ  
حتى اكتمالِ القَمَرِ

لا تُكن ...

لا تكن ذا فؤادٍ يُحِبُّ

وعقلٍ يَرى

كُن كما يَقْتَضِي واقعُ الأمرِ

من .....

من حَجَرَ

## مُراقِبٌ أَوَّلُ

رَأَيْتُهُ يُدَاعِبُ الْوَرُودَ فِي حَدِيقَةِ الْحَيَاةِ

وَيَقْرَأُ الْعَبِيرَ فِي كِتَابِهَا

شَهِيَّةً كَدَفْقَةِ الْعَسَلِ

فَقُلْتُ :

إِنَّ صَوْتَهُ كَشَهَقَةِ الْمِيَاهِ

فِي غَيْمَةٍ رَقِيقَةٍ تَحُومُ فِي

خَوَاطِرِ الْجَبَلِ

رَأَيْتُهُ

عَلَى مَدَارِجِ الصَّبَا يَسِيرُ وَحْدَهُ

ووحدها عصاه

تُرأودُ الكلامَ عن إيقاعهِ الحبيسِ

في الشِّفاءِ

كأنني سمعتها تقولُ :

ما العملُ ؟

## مُراقِبٌ ثانٍ

قُلْ لِمَنْ يُرْسِلُ الْعَاشِقُ الْآنَ مَوَّالَهُ

قَبْلَ أَنْ يَسْتَبَدَّ الرَّحِيلُ بِمَرْكَبِهِ

نَحْوَ قُبْلَتِهِ الْمُوهَنَةِ؟

قُلْ لِمَنْ يَقْرَأُ الْآنَ أَشْعَارَهُ

وَهُوَ يَذْوِي عَلَى مَنَبِرٍ مِنْ هَوَاءٍ

تُطَارِدُهُ الْأَمْكَنَةُ

هَلْ تُرَاهُ اسْتِرَاحَ عَلَى صَخْرَةٍ فِي الْبَعِيدِ

تُوسِّدُهُ صَدْرَهَا؟

هل يَنَامُ القَطَا؟

جاءه الصوتُ من بين طَيَّاتِ تلك الفِلاةِ:

القَطَا لا يَنَامُ

فناوَلَهَا يَقبْظَةَ الرَاحِ من كَأْسِهِ المُثْخَنَةِ

## مُراقِبٌ ثالثٌ

.....

ثُمَّ يَأْتِي عَلَى ذِكْرِ اسْمٍ  
لَهُ سَطْوَةٌ الرِّيحِ فِي عَالَمِ الْيَمِّ  
أَحْرَفُهُ ثَرَّةٌ

أَيُّ نَبْعٍ يُضَاهِي عُدُوبَتَهَا؟!

قُلْتُ:

هَذَا سَيَجْعَلُنِي مُوَلَعًا بِالتَّقْصِي  
سَيَجْعَلُنِي مُوَلَعًا بِالكَلَامِ الَّذِي  
يَحْمِلُ الضَّدُّ فِي خَطْوِهِ ضِدَّهُ

أَيُّ مَعْنَى سَأَطْلِقُهُ الْآنَ فِي حَضْرَةِ الْاسْمِ؟!!

حَيُّ هُوَ الْاسْمُ فِي صَخْرَتِي الْمُجْدِبَةُ

هل سيأوي إلى ظلّها القادمون؟!!

وهل يرتوون ويَمضونَ في دريهم؟!!

كُلَّمَا قِيلَ لاحت لأعينهم نجمةٌ

قلتُ :

هذي مواسمهم في حُقُولِ الرُّؤْيِ أَيْنَعَتْ

هل سيقطفها الساهرون على أمنها؟!!

قالت الأرضُ :

في رَحْمِي الْآنَ أضعافُ ما يَحْلِمُ الحاصدونَ

الينابيعُ مَوَّارةٌ بِالغِلالِ

اسمعوا ما تقولُ الأزاهيرُ والطَّيْرُ

والشَّجْرُ المُسْتَنِيرُ بِمَا كَانَ أَخْرَجَهُ

الْحُبُّ مِنْ مَيِّتِ الْأَتْرَبَةِ

مَنْ سِيَأْتِي إِلَى مَوْعِدٍ غَامِضٍ

خَلْفَ هَذَا الْكَلَامِ؟

هُوَ الْأِسْمُ يُنْبِي عَنِ الْفِعْلِ

فِي كُتُبِ النَّحْوِ

هَلْ يَقْرَأُ الْقَادِمُونَ تَبَاشِيرَهُ غَضَّةً

فِي أَكْفِ السَّحَابِ؟!!

فَنَادِيْلَهُ

فِي حُضُورِ الْغِيَابِ؟!!

وَأَحْرَفَهُ الْبَيْضَ

إِنْ أَصْبَحَتْ مَكْتَبَةٌ؟!!

## مُراقِبُ رابع

قَابَ لَيْلٍ وَطَرِيقُ

كَانَ حَتَّى الْأَمْسِ مَحْمُولاً عَلَى كَفِّهِ

لَا يَدْرِي مَدَاهُ

حَدْسُهُ خُطَوَاتُهُ

الْحَمْرَاءُ فِي أَرْضِ حَرِيقُ

قَابَ هَمْسٍ وَشُجُونُ

كَانَتْ الْأَفْكَارُ تَنْسَلُ خُيوطاً مِنْ رُؤَاهُ

قَالَ :

هذا العُمرُ أصداءٌ تهاوتُ

تحتَ أقدامِ المنونِ

ليس يُجديه انفتاحٌ للمدى

ليس يُعفيه الصدى من مُلتقاهُ

قلتُ : أعطيه يديّ

علَّه يذكُرُني

كنتُ خِلاً وصديقُ

فانثني كُحلاً يوشِّي مقلتيّ

بحقولٍ من أفانينِ ضياهُ

## ورقة أولى

عن مَوْعِدٍ عند اتِّحاد اللَّحْنِ بالكلماتِ

حدَّثني كثيراً

كنتُ كالمأخوذِ أصغي

أتبعُ الشفتينِ

أستجلي معاني الأحرفِ العَظِراتِ

أستقصي المكانَ

هنا....

هناك....

ذهبتُ كي ألقى القصيدةَ شَبَهَ كاملةٍ

وأدنو كي أشمَّ اللَّحْنَ من ضحكاتها

فَهَوَيْتُ مِنْ أَعْلَى الْحُرُوفِ إِلَى رَحِيقِ  
قُلْتُ أَرْشَفُهُ

رَشَفْتُ الضُّوْءَ فَاتَّسَعَتْ خُطَايَ

وَصَلْتُ فِي وَقْتِ تَمَاهِي فِيهِ

صَوْتُ الْغَيْثِ بِاللُّغَةِ الرَّشِيقَةِ

هَلْ رَأَيْتُ الصَّوْتَ يَصْطَبِحُ الْحُرُوفَ ؟

وَهَلْ سَمِعْتُ أَرْجِحَهَا يَنْثَالُ فِي أُذُنِيَّ ؟

هَلْ يَصْحُو نَدِيمِي قَبْلَ أَنْ تَنْمُو عَلَيَّ

شَفْتِيهِ أُمْنِيَّةُ تَرَاءتْ لِي

فُؤَيْقُ شُجَيْرَةِ الدَّرَاقِ

هَلْ أَصْحُو قُبَيْلَ تَشَعُّثِ الْأُورَاقِ ؟

مَا زَالَ الْحَدِيثُ الثَّرُّ يَصْدَحُ

قلتُ :

مَنْ ذَا يَنْفُخُ النِّعْمَاتِ فِي طِينِ الْخَلِيقَةِ

كِي يَصِيرَ، كَمَا رَأَيْتُ،

غَلَالَةً مِنْ بِيَلْسَانٍ؟

وَلِمَنْ سَأَلِبِسُهَا غَدًا

فِي مَوْعِدٍ تَهْفُو إِلَيْهِ الرُّوحُ

فِي أَقْصَى حُدُودِ اللَّامِكَانَ؟!!

وَلِمَنْ سَأَرُوي قِصَّتِي؟! ..

أَلْفَيْتُ أَنِّي أَسْأَلُ الْقَلْبَ الْمُشْتَتَّ

بَيْنَ مَوْعِدِهِ

وَنَائِي يَقْطِفُ الْأَلْحَانَ مِنْ رِيحٍ

يُسَابِقُهَا وَقَدْ بَلِي

الزَّمَانُ!

## ورقة ثانية

تحت سَقْفٍ من الأُمْنِيَاتِ اجتمعنا

خَلِيَّتَيْنِ إِلَّا من الخمرِ والشَّعْرِ

نَصْحُو على رَغْبَةٍ

ثمَّ نغفو على رَغْبَةٍ

نصفُ نومٍ يُسامرنا

ثمَّ يمضي إلى صَحْوِهِ

خلفَ بابِ الغيابِ

أيُّ نومٍ يُراودنا؟!

كيفَ نمضي ونتركه واقفاً

تحت ظلّ الحضور؟!!

المسافات تستلّنا من صباحٍ يُصادرنا خطوهُ

في دروبِ الضبابِ

قد يقولونَ :

أسرّفْتُم في الكلامِ ..

اصمتوا أنتم كي تصبّ العصافيرُ

ألحائها في كؤوس الضحى ..

أيُّ سقفٍ سيبقى إذا قطعَ الشعرُ أوتارهُ؟!!

أيُّ بابٍ؟!!

كم يُلومونا

إنْ غدونا إلى غيْهبٍ نرشفُ الضوءَ

من كأسه!!

كم يلو موننا

إِنْ صَحَوْنَا عَلَى ذِكْرِهِ !

إِنْ هَجَرْنَا هُ كِي نَلْتَقِي صَوْتَهُ فِي الْغِنَاءِ

يَلُومُونَنَا إِنْ رَأَيْنَا عَلَى أَفْقٍ مُوْغِلٍ

فِي السَّيْمِ سَحَابًا

وَإِنْ صَمَّنَا فِي الصَّحَارَى عُبابَ

نَحْنُ مِنْ مَعَدِنِ الشَّعْرِ صُغْنَا كَوَاكِبَنَا

كِي يُضَاءَ بِهَا الْكُونُ

مَا ضَرَّهْمَ إِنْ تَلَوْنَا تَرَاتِيلَنَا فِي الْفَضَاءِ

احْتَفَلْنَا عَلَى صَفْحَةٍ كَالْمَسَاءِ

مَشِينَا عَلَى حَدِّ سَيْفِ الزَّمَانِ !؟

وَمَا ضَرَّنا إِنْ نَسِينَا تَرَاتِيلَهُمْ

أَوْ تَرَكَنَا قَنَادِيلَهُمْ

وَإِنَّمِينَا إِلَى زَيْتِنَا نَحْنُ

مِشْكَاتِنَا نَحْنُ

أَشْوَاقِنَا

مَرْجِ مَاءٍ كَمَا الْأَقْحَوَانِ

مِرَاكِبُنَا فِيهِ مَيَّاسَةٌ كَالْقَبَابِ؟!!

## ورقةٌ ثالثة

لحديقةٍ يتبادلُ الفرشاةَ في ألوانها

وَجُهَانٍ مِنْ قَوْسٍ وَمِنْ وَتْرٍ

فِي تَهْجَانِ كَالطُّفَلِينَ فِي حَقْلِ اللَّعْبِ

لحديقةٍ يتسامرُ العُشَّاقُ فِي حَنَوَاتِهَا

وَرَدُّ وَأَقْمَارٌ

وَصُبْحٌ مِنْ غَنَاءِ النَّحْلِ فِي الْعَيْنَيْنِ

أَوْرَاقٌ لِيَنْثُرَ مَا يَشَاءُ اللَّحْنُ مِنْ دُرِّ

نَدَاءِ فَارِهِ الْأَصْدَاءِ

نَسْمَعُهُ فَنَرُكُضُ كِي يُعَلِّمَنَا  
سُطُورَ الضَّوِّءِ فِي صُحُفِ الْعِنَبِ

لِحَدِيقَتَيْنِ مِنَ الرَّوْيِ  
نَسْعَى فَتَصْحَبُنَا الْقَصِيدَةُ غَضَّةَ الشَّفَتَيْنِ  
بِاسْمَةٍ

أَيْشِرُقُ وَجْهَهَا بِالْمَاءِ  
أَمْ شَجَرٌ يُغَازِلُهَا رَقِيقَ الْبَوْحِ  
مَمْشُوقَ الْعَجَبِ؟!

وَتُهِيبُ بِي عَيْنُ الْقَصِيدَةِ كِي أَرَاكَ  
تُطَلُّ مِنْ هَمْسَاتِهَا  
وَجْهًا تُحِيطُ بِهِ الْحُرُوفُ

يَدُ تُلَوِّحُ لِي : هَلُمَّ إِلَيَّ

إِنْ أَقْبَلْتُ مُبْتَدَأً أُنْسَى

ما تَرَائِكُمْ فِي طَرِيقِي مِنْ خُطْبٍ ؟

هَبْ أَنِّي آنَسْتُ فِي عَتَمِ الْمَدِينَةِ وَجْهَكَ

أَتَّسَعْتُ رُؤَايَ إِلَى فِضَاءِ الرِّيحِ

أَشَعَلْتُ الشُّمُوعَ لِكَيْ أُسَامِرَ دَمْعَهَا

وَتَلَوْتُ إِسْمَكَ فِي كِتَابِ النَّهْرِ

خَبَّأْتُ الْقَصِيدَةَ فِي إِهَابِ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ

أَعْلَنْتُ الرَّحِيلَ إِلَى مَدَاكَ

عَلَى بَسَاطٍ مِنْ قَصَبٍ

هَلْ سَوْفَ يَتَّكِيءُ الزَّمَانُ عَلَى يَدَيَّ

لكي أُهْدِه قَلِيلاً  
حين يَغْتَبِقُ المَسَاءَ الفَجْرَ  
مُحْزُوناً نَحِيلاً؟  
هل سَوْفَ يَقْبَلُنِي المَكَانُ  
إِذَا اجْتَرَأْتُ عَلَى مَكَانَتِهِ  
وَرُحْتُ كَمَا الدُّرُوبُ  
أُعِيدُ تَشْكِيلَ الخُطَا  
نَحْوَ الجِهَاتِ العَشْرِ  
كِي أَجِدَ السَّبِيلَا؟  
هل سَوْفَ أَعْرِفُ كَيْفَ أَرْجِعُ  
حين يَجْمَعُنِي الحَنِينُ مُشْتَتَاً  
أُحْصِي مَتَاهَاتٍ تَرَامَتْ فِي دَمِي

جَمَلًا ثَقِيلًا؟

هُوَ ذَا التَّسَاوُلُ مُفَعَّمًا بِالْحُزْنِ يَجْعَلُنِي

فَأَنَأَى عَنِ حَرَارَتِهِ

وَحِيدًا صَرْتُ

تَلْفَحُنِي عَيُونَ اللَّيْلِ

تُرْعِشُنِي

فَأَسْتَلُّ الْقَصِيدَةَ مِنْ فَمِي جَمْرًا

وَأَصْرُخُ:

لَمْ تَكُن نَارًا

وَلَكِنْ كَانَتْ الصَّرَخَاتُ بَعْضًا

مِنْ رَمَادِ الصَّمْتِ أَطْفَأَهَا الْوَهْنُ

هَلْ سَوْفَ يَأْخُذُنِي الْوَضُوحُ إِلَى الْغَمُوضِ

أَصْبُّ مِنْ كَرْمِي عَلَى فَمِهِ كَوْسًا

ثُمَّ أَرْقِصُ فِي الْعَلَنِ؟

هَلْ سَوْفَ يَتْرُكُنِي وَحِيدًا

أَشْرَبُ الْعَسَقَ الْمُعْتَقَ فِي عَنَاقِيدِ الْأَمَانِي

كَيْ أَفِيءَ إِلَى حِكَايَاتِ الدَّمَنِ؟

هُوَ ذَا أَنَا....

هَلْ قُلْتَ لِي يَوْمًا:

أُحِبُّكَ أَنْ تُعِيدَ لِي السُّؤَالَ

كَمَا يَشَاءُ لَكَ الزَّمَنُ؟

هُوَ ذَا أَنَا

حَرْفٌ مِنَ اللُّغَةِ الْقَصِيَّةِ

عاشقٌ للقُرْبِ

من ذا يُشعلُ الأضواءَ في طُرُقِي

بزيتِ الحُبِّ

كي آتي

فتقرأني الطفولةُ في أراجيحِ البراءةِ

ضحكةً أو نَسْمَةً

للعطرِ باحَ بها فنن؟

## ورقة رابعة

كُلَّمَا جَاءَ صُبْحٌ مِنَ الطَّيْرِ يَشْدُو

عَلَى شُرْفَتِي

قَالَ لِي :

اخْلَعْ النَّوْمَ

وَاصْعَدْ

- أَيَا سَيِّدِي

إِنَّ هَذَا الصُّعُودَ يُعَذِّبُنِي

كُلَّمَا مَدَّ لِي دَرَبَهُ أَجْفَلَ الرُّوحَ

كَيْمَا تَفَرُّ إِلَى خَوْفِهَا

مَرَّ لَيْلٌ :

تَفَرُّ إِلَى خَوْفِهَا

مَرَّ صَبْحٌ :

تَفَرُّ إِلَى خَوْفِهَا

قَالَ : اِصْعَدْ

إِنَّ هَذَا الصُّعُودَ ، بُنِيَ ،

سَيُشْعَلُ قَنَدِيلَهَا ..

## الورقة ما قبل الأخيرة

- ١ -

في الطَّرِيقِ إِلَى زَهْرَةِ الشَّعْرِ

كَانَتْ خَلاخِيلُهَا تُرْعِشُ الصَّمْتَ

قالت :

هي الدَّرْبُ مَزْرُوعَةٌ بِالْعَيُونِ تُتَابِعُنِي

كِدْتُ مِنْ وَجَلِي أُوقِفُ الحَطْوَ

قُلْ لِي إِذَا مَتُّ مَنْ يُكْمِلُ اللَّحْنَ بَعْدِي ؟

تَأَوَّهْتُ مِنْ حُزْنِهَا

فَاتَّكَأْتُ عَلَى خَاطِرِي مُوَهَّنَا

- ٥٧ -

- ٢ -

في الطَّرِيقِ إِلَى زَهْرَةِ الْعُمُرِ

كُنَّا صِغَارًا يُدَغِدُغُنَا الْعِشْقُ

حَتَّى اسْتَبَاحَتْ مَبَاهِجَنَا

نَظْرَةً مِنْ هُنَا

بَسْمَةً مِنْ هُنَاكَ

حَدِيثٌ كَمَا الْوَشْيِ يَجْبُو عَلَى وَجْهِ الْجُلَّانِ

اِحْتَمِينَا بِمَا يُطَلِّعُ الشُّعْرُ فِي دَرْبِنَا مِنْ مَعَانٍ

وَقُلْنَا :

هِيَ النَّارُ فِي أَضْلَعِ الْعَاشِقِينَ حَيَاةً

فَمَنْ يُشْعِلُ النَّارَ فِي صَدْرِنَا ؟

- ٥٨ -

هل أجابت: أنا

ثمَّ ضَمَّتْ إلى صدرها بَوْحَنَا؟!!

- ٣ -

كم أخافُ على الغيثِ من سَطْوَةِ المَحَلِّ!

أسعى إلى فُسْحَةٍ من سماءِ أحوِرِّها!

كي تهلَّ قناديلُها فوق حَقْلِي ..

أناولها أحرُفي

كم سأشُدو إذا وَقَعَتْها على نعمة العُودِ

أو كم سأخشي على الرَّسَمِ من ريشةِ

حين تنوي ملاحقةَ البرقِ

تخشي ذُبالتَها أضلعُ الغيمِ

- ٥٩ -

هل يُصبحُ اللونُ جمرًا على راحتي؟!  
يَقْبُضُ الآنَ قلبي على الـ.. حُبِّ  
يَتَغَوُّ كما الظَّبِّي شوقاً إلى أمِّهِ والحليبِ  
الطريقُ إلى صَرْعِها مُوصَدَةٌ..  
مَنْ يُعيدُ الطِّبَّاءَ إلينا  
وقد راها أمرنا؟!!

- ٤ -

هل سأوي إلى غُربةٍ  
حينَ يَسْطُو على دربي القادمون؟  
الخريفُ الذي جَرَّدَ الأرضَ من ثوبها  
جَرَّحَتْنِي تقاسيمُهُ

- ٦٠ -

فوق نايٍ على كاهلي مُجَهَدَةٌ  
ذلك الصوتُ في داخلي يَسْرِقُ النَّوْمَ  
مِنْ أَعْيُنِ الحَرْفِ يَلْهُو بِهِ  
ثُمَّ يَسْعَى إِلَى شَاهِقٍ  
كِي يَمُدَّ الرُّؤْيَ فَوْقَهُ  
ذلك الصَّوْتُ إِطْلَالَةٌ نَحْوَ غَيْبٍ  
يُورِّقُنِي هَجْسُهُ كُلَّمَا لَاحَ لِي وَمَضُّهُ  
قُلْتُ :

هذي نهايتنا  
فانتميتُ إلى خطوةِ الماءِ في جَذْرِهِ  
مَنْ سِيدُنُو إِذَا ابْتَعَدَ الطِّفْلُ

عن خافقي مُثخنا؟

مَنْ سَيْتَلُو إِذَا أَجْهَشَ الْحَقْلُ أَسْمَاءَهُ

قَبْلَ بَدءِ الْمَطْوَلِ عَلَى زَرْعِنَا؟

- ٥ -

الطَّرِيقُ إِلَى زَهْرَةِ الشُّعْرِ مَزْرُوعَةٌ بِالْخَطَايَا

فَمَنْ يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِنْ جَاوَزَ الْحَدَّ

وَازِيْنَتْ فِتْنَةً بِالْحُرُوفِ الْغَرِيْرَاتِ

فِي سَاحَةِ الرِّقْصِ

يَا أَيُّهَا الشُّعْرَاءُ اسْتَحْمُوا بِأَنْدَائِهَا

كِي تَعُوْدُوا إِلَى بَدءِ بَدَائِكُمْ

- ٦٢ -

وانتشوا حيثُ حَطَّتْ بِكُمْ طَائِرَاتُ الْخِيَالِ  
هِيَ الْكَأْسُ رُمَانَةٌ تَسْكُبُ الْخَمْرَ فِي وَجَدِكُمْ  
كَرْزَةٌ تَرْسُمُ الْقُبَلَ - الشَّهَدَ فِي لَوْحَةٍ  
خَلْفَ صِمْتِ الْعَشِيَّاتِ  
نَايٌ تُدَاعِبُهُ فِي الْبَعِيدِ الْكُرُومُ  
فَتَحْمَلُكُمْ نَحْوَ كُلِّ الْجِهَاتِ تَبَارِيحُنَا ..



## عَصِي الدَّامِع

---



## شاهدة

وأنا المُعلِّق من دمي

غادرتُ هذا الكونَ

مَطعوناً بألفٍ من عيون الرملِ

مُحمِلاً سنينَ المَحَلِ

أكتافُ الرحيلِ المُمرِّ فوقِ يَباسيَ المحروقِ

يرسُمُها الأُفاربُ والأباعدُ

هل أفقتُ؟!

الوقتُ من زمنٍ تكسَّر في الغيابِ

الظُّلُّ يَحْمِلُهُ وَيَرَحُلُ

في شراعٍ أَعْبِرُ كالرملِ

في رَكْبِ السرابِ .

ويعودُ بي زمنٌ تَمَرَّسَ باليباسِ

الماءِ أحلامٌ تُدغِدِغُ ما تبقى من خُيَلَةٍ

وذاك الأَخضرُ المطعونُ يكتبني عناءً

أَسودَ الشفتينِ في خَطْوِ السحابِ

وأنا المُحَلَّقُ في سماءٍ ضاقَ بيدرُها

فعبأتُ النجومَ بما تبقى من جِرارِ

عَلَّ قَدَيْساً يَمُرُّ

وقد تَعَتَّقَتِ الرُّوى

فيفضُّ ختماً

ثمَّ يَنْعَتِقُ العُبابَ

## احتمالات

- ١ -

قد تَسِيرُ الهَوَيْنَى عَلَى شَفَةِ الحَقْلِ سُنْبَلَةً  
تَنْقُرُ الطَّيْرُ مِنْ حَبِّهَا  
ثُمَّ تَسْمُو إِلَى قُبَّةِ الامْتِنَانِ  
حَرِيرِيَّةَ الرُّوحِ  
نَشْوَى مِنَ القُبَلِ الوَارِفَةِ

- ٢ -

قد يُعْنِي شَرِيدٌ عَلَى مَقْعَدِ يَابَسٍ  
فِي الرِّصْفِ العَتَابَا

- ٦٩ -

يُحَدِّثُهُ عَنْ كَرِيمٍ  
تُرَاوِدُهُ كُلَّ يَوْمٍ عَنَاقِيدُهَا  
قَدْ يُغْنِي ..  
وَلَكِنَّهُ يَكْتُمُ الْآهَ فِي صَدْرِهِ ...  
هَلْ سَيَنْسَى مَوَاجِعَهُ  
حِينَ تَأْتِي وَلَوْ كُلَّ عَامٍ مَوَاعِيدُهَا!؟

- ٣ -

قَدْ تُقَادُ الْخِيُولُ إِلَى مَسَلِخٍ  
تَحْتَ سَقْفِ الْخِطَابَاتِ  
فِي قَاعَةِ الْحَرْبِ  
لَكِنَّهَا سَوْفَ تُبْقِي الصَّهِيْلَ  
عَلَى وَجْهِ جُدْرَانِهَا  
وَاقْفَاءً كَالنَّخِيلِ

- ٧٠ -

- ٤ -

قد يفِيءُ المعرِّي وحيداً  
إلى خيمةٍ  
حين يُدعى إلى مربرد الشُّعرِ  
كي لا يرى في مدى ناطحات النجومِ  
قصائدَ أحفاده نائماتٍ  
على صُحفٍ من عُثاءٍ  
أو يَشُدُّ إلى بيته في البعيدِ الرَّحالِ  
حزيناً على أنفُسِ ذابلاتِ العُرى  
لم تُعدْ تستطيعُ الهجاءُ

- ٥ -

رُبَّ عُمُرٍ بُدِّدَهُ  
حين ناوي إلى ظلِّنا في عيون المرايا

- ٧١ -

رُبَّ عُمُرٍ يُبَدِّدُنَا  
حِينَ نَسْعَى إِلَى آخِرِ  
عِنْدَ بَدْءِ التَّوَارِيخِ  
فِي مَهْنَهَاتِ السَّبَايَا  
رُبَّ سَيَّارَةٍ لَمْ يَمْرُؤَا عَلَى الْجُبِّ  
ظَلُّوا يَدُورُونَ حَوْلَ النَّدَاءِ  
وَلَمْ يَعْرِفُوا مَصْدَرَ الصَّوْتِ  
أَعْطَاهُمُ التِّيَهُ دَرْبًا إِلَى بَيْتِهِ  
ثُمَّ سَارُوا عَلَيْهِ كَأَنَّهُمْ  
مِنْ شَطَايَا ..

- ٦ -

رُبَّ لَيْلٍ سَيَّرْتُ كُنِي صَاحِبِيَّ  
ثُمَّ يَمْضِي إِلَى نَوْمِهِ

- ٧٢ -

غارقاً في دُجَاهِ  
رُبِّ عُمُرٍ سِيَحْمَلُنِي مُثْقَلًا بِالسِّنِينَ  
ويتركُنِي مُنْهَكَاً  
أشْتَهِي مُنْتَهَاهُ

رُبِّ دَرَبٍ يُلَوِّحُ لِي أَنْ تَعَالَ  
ولكننِي مُقْعَدُهُ هَدَّنِي الشَّيْبُ  
والحُلْمُ الكَهْلُ

والأحرفُ الصُّفْرُ في دفترِ الاشتباهِ

رُبَّ ...

هل ينثرُ الطفلُ في لحظةِ الخوفِ ما قد جناهُ؟

## حلمٌ أوّل

بعيداً سيُلقي بي العابرونَ  
استطالوا على سطح بيتي  
كأنهم من جبالٍ  
وغلُّوا حكاياتِ الحلماتِ  
أقاموا على فسحةٍ كنتُ أرتادُها  
مربطاً للبعالِ  
بعيداً سيُلقونَ بي ...  
كُلُّ ما عندهم من أباطيلَ  
أو من ..  
رَمَوْها على كاهلي

ثُمَّ قالوا : استعدّ لتشرّها في الجهاتِ

بِذارِ العاصِمَةِ من غلالٍ ..

قريباً سيُلقي بهم عابرونَ

وأبصرُهم لائذينَ بخيبتهم

خلفَ أَياميَ السودِ ..

هل سوف يُلقُون بي

في أقاصي المُحالِ ؟

هُم في ضميرِ المرايا غُرابانِ في الصيفِ

هِرّانِ في أمسياتِ المُواءِ

هُم في كتابِ المآسي كثيرٌ من الشعرِ والنثرِ

والعُصصِ الراقصاتِ على الجُرْحِ

في أحجياتِ القضاءِ

## حلمُ ثانٍ

طلَّلَ يَسِيرُ عَلَى خُطَاكَ

طلَّلَ يَلُوحُ عَلَى مَدَاكَ

طلَّلَانِ يَحْتَرِقَانِ فِي عَيْنَيْكَ

عصفورانٍ فِي كَفَيْكَ يَرْتَعِشَانِ

وَدَمٌ يُجَاوِلُ أَنْ يَفِرَّ

فَقَدْ تَبَيَّسَتِ العُرُوقُ

مِنَ التَّوَقُّفِ فِي مَتَاهَاتِ الرِّهَانِ

وَأرَاكَ تَخْرُجُ مِن إِهَابِكَ حَائِرًا

تَتَفَقَّدُ الأَطْيَارَ فِي قَفْصِ هُنَا

يبكي على شجرٍ هناكُ  
طللانٍ من ماءٍ ومن طينٍ  
تهاوى فوق ظلِّهما ظلامُ  
مُتدثرٌ بخطاكِ في أرضٍ كأرضك  
يومَ جرَّحها يباسُ النهرِ  
فانتحبَ اليمامُ  
ومضى يُفتِّشُ عن تُرابٍ آخرٍ  
في الغيثِ  
يُجرُّه على قلقٍ غمامُ  
طللٌ يُفتِّشُ عن خطاكِ  
طللٌ تُبعثرُهُ يداكُ  
وقصائدُ الشعراءِ تضربُ

فِي الْجِهَاتِ السَّتِّ

تَسْتَقْصِي السَّحَابَ

وَقَدْ تَرَأَى خَلْفَ أَسْتَارِ الزَّمَانِ

لِكَأَنَّ وَجْهًا أَسْوَدًا لِلْكُونِ يَنْمُو

مِنْ تَلَاوُحِ هَذِهِ الْفَلَوَاتِ

مَعَ ذَاكَ الدِّخَانِ !

## حلمٌ ثالثٌ

لم يلتفتْ أحدٌ إليَّ وقد رُميتُ

ولا يدٌ مَدَّتْ تُداعِبُ كَفَّها الأَقلامُ

تَسأَلُها الأصابعُ عن وِروِدِ

تَشربُ الكلماتُ فتتَهها

فتعرجُ للغناء

لم يلتفتْ أحدٌ إليَّ

كان الخليفةُ عامراً بالحُسنِ

تَخطفُه العيونُ من البهاءِ

لم يلتفت أحدٌ

وكفّي لم يزل دمها يسيلُ

وسيفهُ الأبويُّ يلمعُ

حدُّهُ أوْهت حرارتهُ ذُكاءً ..

## نداءٌ أوّل

لا تكسرُ إيقاعَ الصمتِ

بهذا الصوت المتكسرِ

تحت سياط الكلمات الجوفاءِ

ولا تتوسّد أغصانَ الليلِ

أترضى أن يهربَ من بين يديكَ

الخيطُ المشدودُ إلى شجر الجوزاءِ؟

أو ترضى أن تتناثرَ أعضاؤكَ

ما بين الوقت الهاربِ من بين يديكَ

وذاك الواقف بالمرصاد أمامك

أو ذاك المُوغل في العودة نحو الماء؟!!

لا تدخل في هذي اللعبة

فالأوقات هُلامٌ

والجسدُ المُتمسكُ بالوقتِ

هَبَاءٌ

## نداءٌ ثانٍ

على أيِّ أرضٍ ستمشي

إذا الأرضُ صارت إلى غَيْهَبٍ تائهٍ

في السَّرابِ؟

إلى أيِّ أرضٍ ستمضي

إذا الرملُ غطَّى الدروبَ

وألقى إلى قاعه الشجرَ المَيْتَ

مُستوحشاً في العُبابِ؟

إلى أينَ يا ... سوف نَمضي

إذا الريحُ قالت أنا النَّارُ

والنارُ أَلَقَتْ إلى الرملِ روحاً من الجمرِ

جُرْحاً يُجَدِّدُهُ كُلَّ يَوْمٍ ثِقَابٌ؟

هل تُرانا سيُدرِكُنا الغَمْرُ؟

يُغْرِقُنا في الأنيِنِ الحَينِ

يُلَوِّنُنا بالنُّحولِ

ويتركُنا قِطْعاً من نَشيجِ على كُلِّ بابٍ؟

## حوار

- قُمْ وارْتَحِلْ .....

\* لَمْ أَرْتَشِفْ مِنْهَا سِوَى قَدْحَيْنِ

هَذِي الْكَأْسُ حَانِيَةٌ حُنُوًّا الْأُمُّ

كَيْفَ أَغَيْبُ وَالنُّدْمَاءُ يُحْتَفَلُونَ بِي؟!

- قُمْ وارْتَحِلْ .....

\* لَمْ أَحْظَ مِنْ قَيْسٍ بَغَيْرِ الْقَلْبِ وَالْأَضْلَاعِ

مَنْ لَيْلَى بَغَيْرِ الْوَعْدِ وَالْأَوْجَاعِ

أَوْ قَفَنِي الْجُنُودُ وَفَتَّشُوا حَتَّى الْأَصَابِعَ :

لستُ أحمَلُ غيرَ أشواقٍ  
وأنغامٍ على وترِ القصيدةِ  
نَفْحَةٍ من «يا صبا نجدٍ»  
وأزهارٍ وعصفورٍ صغيرٍ .....

- أيها المجنون !

ممنوعٌ دخولٌ جميع ما حملت يداك

أَتظنُّ أنك .....؟!

واهم .....

عيناك أحجيتان ... !

هذا الأنفُ ..... !

ذلك ليس يقبلُهُ الخليفةُ ....

أيها المأخوذُ لا عقلاً حملتَ

ولأبّ منّا نَمَاكُ

قِفْ واعترفْ

مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِمَا حَمَلْتَ؟!!

وَأَيْنَ تَأْخُذُهُ؟ .....

وإلّا... ..

ويجيئني صوتٌ على عُنُقِي كما حَبَلٍ تَدَلِّي

- ما دمتَ محكوماً فَعُصَّ الطرفَ وارحلْ

أو فكن أحداً سِوَاكَ ..

## تساؤل أول

أَيُّكُونُ لِي هَذَا الدَّمُ الْمَسْفُوحُ  
وَالزَّمَنُ الْمُعَلَّقُ فِي أَرَاجِيحِ الْأَبَدِ؟!  
أَيُّكُونُ لِي وَجَعٌ تُعْتِقُهُ الْمَآسِي  
فِي دِنَانٍ مِنْ كَمَدٍ؟!  
وَيَكُونُ لِي حُزْنٌ بِحَجْمِ الْكُونِ  
أَفْكَارٌ  
غُبَارٌ مُطَلَّقُ الْأَهْوَاءِ  
لَيْلٌ حَالِكٌ  
وَالْمَاءُ يَحْمَلُهُ السَّفِينُ إِلَى الْجَنَافِ

ولي الزَّبَدُ؟!!

هو واحدٌ

اثنان

آلافٌ

ووحدي :

أعرفُ الأسماءَ من أصواتها الأُولى

أُنادي ..

كم أُنادي !

هل سيسمُعني أَحَدٌ؟!!

## تساؤل ثانٍ

وَمَرَرْتُ قُرْبِي

كُنْتُ مَشْغُولًا بِقَتْلِ الْوَقْتِ

بَيْنَ يَدَيَّ أَشْلَاءُ تُبْعَثُ

مَا تَجْمَعُ مِنْ رَمَادِي

حِينَ أُدَاهِمُنِي صَبَاحُ غَائِمِ الْعَيْنَيْنِ

أَذْكَرُ أَنِّي انْفَطَرْتُ مَسَاءَاتُ

عَلَى كَتْفِي

حَيْثُ ذَهَبْتُ

مُنْكَسِرًا أَوْاسِي مَا تَبَقَّى مِنْ مُرَادِي

فَإِذَا جَمَعْتُ إِلَيَّ أَشْلَائِي

وَشَيْئًا كَانَ يَنْقُصُنِي

تَرَاءَى لِي مُضِيئًا

خَلْفَ أَعْتَابِ الشُّهَادِ

هَلْ أَسْتَعِيدُ الْجَمْرَ؟

لَمْ أَسْأَلْ سِوَايَ

وَجَدْتُنِي أُصْغِي

وَأَنْسَى أَنَّ لِي صَوْتًا هُنَاكَ

تَرَكْتُهُ يَوْمًا يُنَادِي

هَلْ شَرَّدَتْهُ الرِّيحُ؟

ما هذا الغبارُ الغائرُ العينين يَلْفَحُنِي؟!!

وحيداً كُنْتُ

كيف أُواجهُ الغاباتِ وحدي؟!!

هل ستُسَعْفُنِي البلادُ

وقد حَمَلْتُ إلى بيادرها حصادي؟

## صوتٌ أوّل

وحيداً على غُربةٍ في دروبِ الحياةِ  
ارتدى قلبهُ كي يجوبَ الهوى عاشقاً  
مثلَ قيسٍ يُراودهُ حلمُهُ  
رُبَّ ليلٍ تُناولُهُ نظرةً كي يرى  
وجهها نجمةً في جبين السماءِ  
رُبَّ ليلٍ على نشوةِ القلبِ تهَمي  
فيهمي على دفترِ الشُّعرِ حبرٌ  
يُناولُهُ نفسهُ  
حين يَنأى عن العينِ طيفٌ

لغاديةٍ من بهاءٍ؟

إنَّها لحظةٌ من عَقِيْقٍ سترُجِعُه نحو ماضٍ

يُعذِّبُه كلَّ ذكْرَى

ويجعلُه تائهاً حيثُ ألقَتْ به

رحلةُ العُمُرِ

غُصْنًا على أُمْنِيَّاتِ المساءِ

وحيداً يُحاصِرُه العَتَمُ

والريحُ والأحرفُ الجُرْدُ

في لوحَةٍ كالْبُكَاءِ

## صوتٌ ثانٍ

أيُّها الواقفُ كالطفلٍ شريداً

في مدارات الكبارِ

رافعاً عينيه كالمنظارِ

يَستجلي شهاباً قِيلَ يأتي

حاملاً ضوءَ النهارِ

إنْ أكنُ أعلنتُ أنّي تائبٌ

عن صُحبةِ الأيامِ تَدحوها

كُرّاتٌ في فضاءٍ من غُبارِ

هل لأني مُوغلٌ في شهوة التفاح

تُدينني إلى حَدِّيهِ

أفكارٌ كوحشٍ في قفازٍ؟!!

هل تُرى تُنسلُّ من بين اتِّحادٍ وانفصالٍ

أعينُ ترنو إلى فجرٍ تعرَّ بالعثارٍ؟!!

هل تُراني حين أستلُّ احتراقي

سوف تُعدو بي مهأزُ النارِ جمرأً

نحو آفاقٍ تبدَّت مثل كُثبانِ المحارٍ؟!!

أيُّها الواقفُ كالصبرِ المُدَمَّى

فوق جُرْفٍ حائرٍ كالماءِ

أو كالمَلحِ في كأسٍ يُدازُ

كيف تُلقِي بي رِيحُ شارداتُ

في فضاءٍ من نِشازٍ؟!!

لا تَسَلْنِي

كنتُ يوماً مثلاً عصفورٍ صغيرٍ

أم رهاماً ضاعَ في أرضٍ تُباهي

بالبَوازِ؟!!

## صوتٌ ثالث

إلى أين تَحْمَلُكَ الصافناتُ الغوادي

وفي القلبِ بوصلةٍ واحدةٍ؟!!

إلى أين يَحْمَلُكَ العاشقونَ

استقالوا من الأرضِ

قالوا:

هو العشقُ إطلالةٌ نحو غيبٍ فسيحٍ

ترامت على بُقعةٍ فيه أرواحهم كالطيورِ

يُغْنُونُ أغنيةً واجدةً؟!!

تَمَسَّكَ بِمَا يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ مَيِّتٍ فِي التَّرَابِ

اِكْتَمَلُ فَرِحَةً

إِنَّ هَذَا الْمَدَى مُشْرَعٌ كِي تَطِيرَ

الهُوَى رَفَّةً فِي جَنَاحٍ

تَهَادِيَتَ فِي رِيَشِهِ بِرِعْمًا

أَوْ كَثِيرًا مِنْ الثَّمَرِ الْغَضِّ

فِي حُلْمِ الْمَائِدَةِ ..

## إِطْلَالَةٌ

هل كنتُ أَعْتَبِقُ المَرَاثِي

حينَ فاجأني الحَمَامُ؟!!

هديلُهُ طِفْلٌ يُدَاعِبُ قَلْبِي المَكْلُومَ

نافذتي تُحَاوِلُ أن تَفَرَّ من الحديدِ

وفوقِ باصرتي سَقْفُ

هل كنتُ أَنسُجُ ليلتي شِعْراً خفيفَ الوزنِ

يحملُني إِلَيْكَ

أنا «العصيَّ على الدموعِ»

يُؤْمِنُنِي هَذَا الْجَفَاءُ

وَيَحْتَفِي بِي مِنْكَ خُلْفٌ؟!!

لَكَأَنَّ صَوْتاً مَا يُجَاوِلُ أَنْ يُطِلَّ

مِنْ الْحُرُوفِ كَتَبْتُهَا

ظَمَانَ

لَكِنَّ السَّرَابَ يَغْلُنَا

فَنُعِيدُ مَلَأَ الْكَأْسِ مِنْ مَاءِ الْخِيَالِ

نَعْبَهُ

وَتَعَبُ أَغْنِيَةَ تُرَاوِدُ مَسْمَعِيكَ

قُورَامُهَا

نَحْوُ وَصَرَفُ

يا أنت ، يا وعدَ السنينَ تمرُّ

حاملةً إليَّ اليأسَ

لكنِّي ، وصوتُ الحربِ في أذنيِّ ،

أستجلي الصهيلَ

وما تُهاوي من كواكبها الأسنَّةُ

والغبارَ

وطعنةً في الصدرِ أو في الظهرِ

والطعناتُ حَتْفُ

كم ذا تُحمِّلني الليالي من همومٍ !

أنتَ لم تَسألَ

ولم تَحْفَلِ بما أرسلتُ من عتبٍ

كَأَنَّكَ ، يَا بَنَ عَمِّ لِي ،

هَجَرْتَ السِّيفَ

أَوْ هَجَرْتَكَ قَبْضَتُهُ لَتَبْحَثَ عَنِ سِوَاكَ

وَقَدْ أَنْسَتَ إِلَى الْغَوَانِي

لَيْسَ يَجْلُوهُنَّ وَصْفُ !

فِي كُلِّ خَرَشْنَةٍ أَنَا

أَتَكُونُ خَرَشْنَةَ الْبِلَادِ؟!!

اللَّيْلُ أَطَبَقَ حَاجِبِيهِ

وَلَمْ أَزَلْ فِي مُقَلَّتِي صَحْوٌ

وَضَوْءٌ فِي السَّرِيرَةِ لَا يَجْفُ ..

فِي كُلِّ خَرَشْنَةٍ شَبِيهٌ لِي

أراه على امتدادٍ ليس يُدرِّكُهُ سوانا

نحنُ ، يا جبلَ الجليدِ ،

سُلالةٌ للجمرِ تنمو

إن يُداهِمها الرمادُ

رمادُ مَنْ جعلوا الصَّقيعَ إمامَهُمْ ،

شَبَّتْ كعنقاءٍ اشتعالِ

في ذوائبها نَرَفُ ..

## صديّ أوّل

في زمنٍ يأتي

أحسبني أنظره الآن جلياً

تتكدّس فيه الأكتافُ على الصُّلبانِ

رُويداً فرُويداً

تتصاعدُ منها آهاتٌ وأمانٍ

وقصائدُ من كبريتٍ

ونداءٌ يتوسَّلُ من يحميه

في زمنٍ يأتي

أحسبني أقرؤه الآن ملياً

تتنابذُ بالألقابِ قبائلُ  
نسلَتْها في أقبيةِ الخمرِ إماءُ  
من هو لا كو آخرَ  
لم يحملُ سيفاً  
أو يُتلفُ حجراً أو شَجَراً  
بل كان «رحيماً جداً»  
حتى أقصى دمعاتِ مآقيه  
قد يحسبني واحدكم أهذي  
لا بأسَ  
هبوني مجنوناً يتوهمُ  
أو طفلاً ما زال يُحاولُ

أَنْ يَتَهَجَّى أَحْرَفَهُ الْأُولَى  
مِنْ صُحُفٍ تَتَطَايَرُ أَرِيَاشاً

مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ

فَأَنَا «آخِيْتُ»

وَلَكِنِّي مَازَلْتُ أَرَاكُم أَحْيَاءً

وَلَدَيْكُمْ أَدْمَغَةٌ وَعَقُولٌ

وَنَفُوسٌ تَأْمُرُ أَوْ تُنْهَى

مَازَلْتُ أَرَاكُم تَنْتَظِرُونَ قَدُومَ اللَّيْلِ

وَتَبْتَهَجُونَ لِذِكْرِ الْحَيْلِ

وَقَدْ تُلْقُونَ ثِيَابَ الْأَحْزَانِ

طَعَاماً لِلْوَيْلِ

إِذَا مَا ابْتَسَمَ النَّابُ السَّاكِنُ فِي شِدْقَيْهِ

ما أكثر ما تَجْرُونَ إليه دموعاً

من فرطِ الحُزَنِ

إذا ما عَطَسْتَ قِطَّةً

من طَعْمِ الحَلْوَى

أو من رائحةِ العَطْرِ

تُغْنُونَ قِصَائِدَ أَشْوَاقٍ لِسَاءٍ يَعَشَقُهَا

وقِصَائِدَ إِعْزَازٍ لِسَاءٍ يَسْكُنُهَا

مُحْتَفِياً بِجَمِيعِ بَنِيهِ

لكنِّي «أَخِيْتُ»

وإخواني الفُقَهَاءُ يَرَوْنَ الصُّلْبَانَ سَتَكْتُرُ

والمصلوبين يَجُوبُونَ الرُّدْهَاتِ جَمِيعاً

في القصر الثاني بعد العشرينَ

يُؤْمِنُونَ النَّفْسَ بِصُلبَانٍ أُخْرَى

كِي يَزِدَادُ ثَوَابٌ وُوعِدُوهُ

سِيُخْرِجُهُمْ مِنْ عَتَمِ التِّيَّةِ

لَا أَهْجُو أَحَدًا مِنْكُمْ أَوْ مِنْهُمْ

لَكِنِّي أَلْفَيْتُ صَدِيدًا فِي أَعْرَاقِ

أَحْسَبُهَا كَانَتْ لِدِمَاءِ

فِي زَمَنِ وُلِّي

يُشْتَاقُ إِلَيْهِ

قَدْ أَذْكَرُ شَيْخًا فِي هَذِي السَّاعَةِ

عَلَّمَنِي فِي «الْكِتَابِ» الإِعْرَابَ

مِنْ الْفَاعِلِ حَتَّى الْاسْمِ الْمَجْرُورِ

وَأَفْهَمَنِي أَنَّ الْمَجْرُورَ ذَلِيلٌ

لا يُرجى منه الخيرُ

وأسترجعُ شاراتِ رَسْمِتها شفتاهُ وعيناهُ

كأني أقرؤها في اللّوحِ المحفوظِ

كلاماً علّمنيّه

لا يهجو إزميلاً يَنحِتُ في الصخرِ

هياكلَ تشبهكم

ويصبُّ عليها ألوانَ خزائكم

كي تُصبحَ تاريخاً يَنسجُه البُلغاءُ

نشيداً وطنياً

تُنشدهُ الأجيالُ

فتسمو نحوَ المجدِ صُعوداً

من بين يديّه !

بل يهجو ....

لن أكمل هذا ال.....

فالصُّلبانُ ستغدو أجنحةً لطيورٍ

ستُحلقُ صاعدةً من جُثمانِ النارِ

احترقتُ في مسرحِ هذا التَّيهِ ..

## غَسَق

- ١ -

من هنا مرَّ ذاك الرحيلُ بطيئاً على حِيننا

وعلى واحدةٍ من ضيَاءِ

أناخِ قوافلهُ

كان يمشي كما اللصُّ

يرقبنا كيف نحدو قصائدنا في العراءِ

نشاطرُها الحرَّ والقرَّ

نُصغي إلى هَجْسها

حين تَنحُو على جُرْحنا

- ١١٢ -

ثُمَّ تَكْتُبُنَا بَيْنَ سَطْرَيْنِ  
مِنْ رُوحِهَا الْمُعْشَبَةُ  
لَمْ يُطِقْ أَنْ يِرَانَا خَلِيلَيْنِ  
فِي وَحْشَةِ الدَّرْبِ  
تَرَفُو مَوَاجِعَنَا بِالْغِنَاءِ  
نُضَمُّدُهَا بِالْحُرُوفِ الَّتِي تَرَسُّمُ  
الْإِرْتِقَاءَ وَتَعْشِقُهُ  
فَانْتَضَى مُدِيَّةً مِنْ كِنَانَتِهِ  
مُغْضَبَةً ..

- ٢ -

مِثْلَمَا يَحْرِقُ الطِّفْلُ إِصْبَعَهُ

- ١١٣ -

حين يدنو ليكتشف المدفأة  
مثلما يحمل القلب في يده عاشقاً  
وهو يدنو إلى وردةٍ  
ثم يسكبهُ باسماً  
هكذا كنتُ لما تقدّمتُ كي أقطف الغيثَ  
من غيمةٍ مُرجاةٍ

قيل:

هذي طبائعكم أيها الشعراءُ  
الفراشاتُ علمنكم لذةَ الاحتراقِ  
وراودنكم عن شموعِ القلوبِ  
أتمضون كالبله ليلاً  
إلى نارها المطفأة؟!!

- ٣ -

قد نُغْنِي معاً ذات حُزْنٍ

فترثي لأحوالنا حانباتُ الطُّيورِ

وتَجَثُّو على شائكِ

من سياجِ الحقولِ قليلاً

ومن ثمَّ تَمْضِي

إلى شِدْوِها راسماتٍ به لوحَةٌ

في كتابِ الحنينِ

هل سنُصْغِي إلى نايها

وهو يَجْنُو على جُرحها راعشاً

في حقولِ الأئينِ؟!!

- ١١٥ -

- ٤ -

رُبَّمَا كُنْتَ يَا صَاحِبِي

مِثْلَهُمْ غَارِقًا فِي رِمَالِ الصَّبَابِ

رُبَّمَا صِرْتَ أَرْجُوحةً

بَيْنَ صَمْتٍ يُؤَجِّجُنَا كَالْحَرِيقِ

وَصَوْتٍ يُلَاحِظُنَا كَالدُّبَابِ

مَنْ سِينَجِيكَ مِنْ وَرْطَةِ العُمْرِ

وَالنَّاسُ مُعْظَمُهُمْ تَائِهٌ

قَدْ يَشْفُ اللُّظَى عَنْ مَعَانٍ تَبَرَّجْنَ

أَوْ

قَدْ يَفْضُنَ اشْتِيَاقًا إِلَى لَثْمِ عَيْنِكَ

- ١١٦ -

لَكِنَّهِنَّ يُعِدْنَ تِلَاوَةَ مَا يُكْتَبُ الْكَهْلُ  
فِي أُمْسِيَاتِ الشَّبَابِ !

- ٥ -

هَبْ أَنِّي آنَسْتُ فِي هَذَا الْيَابِ الْمُرِّ  
نَارَكَ سُكَّرًا  
وَأَنَا الْمُصَابُ بِدَائِهِ  
أَدْرِي وَلَا أَدْرِي مَصِيرِي فِي رَحَابِكَ  
هَبْ أَنِّي

أَوَيْتُ فِي صَدْرِي صَغَارَ الطَّيْرِ  
مِنْ مَطَرٍ وَرِيحٍ وَاكْتِنَابِ  
مَنْ سَوْفَ يُؤْوِينِي إِذَا حُوصِرْتُ  
أَوْ صُودِرْتُ

- ١١٧ -

واستهوى «رفاقُ الدربِ» في البُلوى

عَذابي؟

رَسَمُوا على ظهري خرائطَ ،

في دمي سكبوا بعوضاً

ثُمَّ غاصوا في إهابِكُ

مثلَ أعوادِ الثُّقَابِ؟

هَبْ أَنَّهُم رَجَمُوكَ بالصمْتِ المُعَلَّبِ

أو بأخبارِ الخنادقِ والفنادقِ

هل ستسمعُهم طويلاً

أم ستغلقُ دونهم عَتَبَاتِ بابِكُ؟!

هَبْ أَنَّهُم حملوكَ في أسفارهم

حيثُ استطاعوا

واستطاعتهم بلاداً أو جهات

هل سوف تتركنا وتمضي

خائفين وجائعين ،

البرد يُتِحِفُنَا بِمَا نَفَحُوهُ

من ثلجٍ «رقيق القلب»

يُجْرِجُهُ عَلَى مَهَلٍ ثِقَاتُ؟!!

وسيكتبون لك الرسائل

حين تمضي نحو موتك

خلف حلمٍ ليس يعينهم

تبدى في فؤادك كالفلك

ولسوف تلتئم القوائد

في دواوين الإمارة

هذه تَصْبُوْا إِلَىٰ مَعْنَاكَ  
وَالْأُخْرَىٰ سَتَرْفَعُ مَقْلَبِيكَ إِلَىٰ الْأَعَالِي  
شُرْفَتَيْنِ مِنَ النُّجُومِ  
وَمَجْلِسُ الْأَمْنَاءِ يَسْكُبُ نَخْبَهُ  
لَمَنْ اسْتَطَاعَ كَلَامَهُ أَنْ يَجْعَلَكَ  
فَلَكَاً تَدْوِرُ بِهِ النُّجُومُ  
عَلَى الْمَنَاكِبِ فِي شَبَابِكَ  
هَلْ سَوْفَ تَنْعَمُ بِالشَّبَابِ!؟

- ٦ -

لَيْتَ لِي مِثْلَ مَا لِلدَّرُوبِ  
شِعَاباً وَوَعْرًا

- ١٢٠ -

وظِلًّا خَفِيفًا

وخطوا يسابقه الطلُّ أو

يُظِلُّهُ الْبَيْلَسَانُ

ليت لي مثل ما للسماءِ

سحاباً وبرقاً

لكي أمطر الآن غيثاً على

أهلي الظامئين

لكي أبعث النار في موقدٍ مُطْفَأً

في شتاء الزمان

## صديّ ثانٍ

فَلتُعَرِّني سِماءَ لَأَسأَلها حاجتي للهواءِ

فضاءَ لَأَسأله رَفَّةً للجناحِ

كُروماً من الضَّوءِ

كي أعصر الخمرَ للصَّحْبِ

لَمّا تجيءُ المواعيدُ

رُمانةً كي أُعيدَ الفصولَ التي ...

حينَ تَمضي إلى موعدٍ لا يُنالُ

ما الذي يجعلُ العُمَرَ يَجري

وفي إثرِهِ تَرَكُضُ الأُمْنِياتُ

تُحَاوِلُنَ إِيقَافَهُ

غَيْرَ أَنَّ الدَّرُوبَ تُوزَعُّهَا صَوْرًا

مِثْلَ آلٍ

إِلَى أَيْنَ تَأْوِي الفِرَاشَاتُ

فِي هَذِهِ الحُلُكَةِ المُسَدَّلَةِ؟!!

وَمَنْ سَوْفَ يُؤْوِيكَ إِنْ أَطْفَأَ اللَّيْلُ عَيْنِيكَ

أَوْ وَجْتِيكَ

وَأَلْقَى عَلَى رَأْسِكَ السَّامِرُونَ أَبَاطِيْلَهُمْ

وَالهَوَاءَ الَّذِي يُفْسِدُونَ بِأَنْفَاسِهِمْ

وَالكَلَامَ الَّذِي يَجْعَلُ الصَّمْتَ يَهْذِي

بِأَفْكَارِهِ المُقْفَلَةَ؟!!

وَإِلَى مَنْ سَيُوكَلِّكَ الرَّاحِلُونَ

وقد أذّن اللَّيْلُ في النَّاسِ  
ضاقَتْ بأَرْجُلِهِمْ هَمَّهَاتُ الدَّرُوبِ  
استطالَتْ بهم عَرَبَاتُ الرِّحِيلِ  
حُدَاءٌ يُجَرِّحُهُمْ واحداً واحداً؟  
هل سيُلقونَ في غُربَةٍ  
خلفَ هذا السرابِ الرِّحَالُ؟  
هل سنذكرهم حين تَسري أحاديثُهُم  
نحو أحلامنا الحائِماتِ  
على واحَةٍ في أقاصي الخيَالِ؟  
هل ستبْعُهُم؟  
رُبّما يُرسلونَ لنا الآنَ خطواتِهِم  
كي نجيءَ إليهم صُعوداً  
إلى قُبَّةِ الجُلُجَلَةِ

## صدي ثالث

وكما غرقتُ ولم أزلُ  
في بركة الحبرِ المُعتقِ  
منذُ دهرٍ  
أغرقُ الآنَ  
المواسمُ أففلتُ بُستانها  
سأسيرُ وحدي  
إن تُداهمني ليالٍ  
أشعلِ القلمَ الأخيرَ  
وما تبقي في الكنانة من سهامِ

سَأَسِيرُ ...

لَا جُدُوى مِنَ الطُّرُقَاتِ

قَالَ اللَّيْلُ :

فَابْتَسَمَتْ غَزَالِي الْعَصِيَّةِ فَوْقَ قَلْبِي

ثُمَّ أَطْلَقَتِ الْحَمَامَ

رِسَائِلِي فَتَحَتْ نَوَافِذَ فِي جِدَارِ الصَّمْتِ

فَانْطَفَأَتْ عَلَى ثَلْجِ الرُّخَامِ

هَذَا الرَّمَادُ رَمَادُ مَنْ عَبَرُوا

بَرَازِخَ هَمِّهِمَاتِ الرِّيحِ قَبْلِي

لَمْ يَزَلْ يَتَفَقَّدُ الْآتِينَ

لَمْ يَعُثْرْ عَلَى جَمْرِ الْبَدَايَةِ كَيْ يَقُومَ

وَجُلٌّ مَنْ عَبَرُوا أَقَالُوا خَيْلَهُمْ

تحت الظلامِ

هذا الرمادُ، رمادُ أعمارٍ

تعلّمتِ القراءةَ في كتّابِ الموانئِ

هل تُراكِ قرأتَ فيها

ما تبقى من مواسمِ في الزّحامِ؟

اقرأ

وتتخلّجُ السطورُ كما فؤادٍ

أيقظت خفقاته يوماً قطاةً

هل سيقرأ؟

قالت اللّغةُ الحبيسةُ في المعاجمِ:

حسبُه هذا التمعنُ في غزالتِه

ليعرفَ أنّ أطيفاً ترفُّ على أصابعه

عيوناً من ملامِ  
ولقد يُجربُ أن يفكَّ رُموزها  
فيُصابُ بالهذيانِ  
هذي أدمعُ خرساءُ  
تلكم شامةٌ في الخدِّ يرسمها شريدٌ  
ثمَّ ما تلك الدقيقةُ مثلَ خيطٍ؟!  
علَّها زمنٌ مضى  
أو قُل زمانٌ ضاعَ في ميِّتِ الكلامِ

وكما يُفسِّرُ طالبٌ في الصفِّ  
أقوالَ الفرزدقِ في جريرِ  
كان يسترضي سُلافةَ كي تُطلَّ

هنا الورودُ رسائلُ حمراءُ ناصلةٌ

وكان القَوْلُ فيما كان

من وقتِ تناثرِ

بينَ طيِّاتِ الرُّكامِ

## صدي رابع

ولسوف أُغنيّ كي أنسى إيقاع العُمَرِ الهاربِ

من بين يديّ

سأُغنيّ كي أسمع صوتي

في هذا الصخبِ المُتعالِي

لديوك الحيّ

سأُغنيّ كي أملأ أذان الصّمتِ الآتي

في خطو السّنواتِ

بجدولِ أصداءٍ من صوتي المنفِيّ

وسأُعلنُ أنّي سأُعاقرُ في رُدّهات اللّيلِ

كؤوسَ الضوءِ الهاطلِ

من دالية الرؤيا في عيني

وأنادُمُ غُرباءَ الماضي والحاضرِ والمستقبلِ

أُسكِنُهُم بيتي

أُطعِمُهُم من زادي

أُدْفِنُهُم

وأُرَدِّدُ أشعاراً نَزَفَها

منذُ ولادتهم في صحراءِ الناسِ

إلى ساعاتِ قيامتهم

في العصرِ الذهبيِّ

قد أكتبُ أشعاراً أنغزلُ فيها

بالقمرِ المُتَماهي في وجهِ الطفلةِ

يَرَسْمُهُ فِي الْعَتَمِ صَبِيٍّ

وَأَوْثِي بِضَفَائِرٍ وَرِدٍ

مَنْ بُسْتَانِ الْإِشْرَاقِ ظِلَالَهُمَا

وَأَعَطَّرُ أَنْفَاسَ الصُّبْحِ بِيَوْحِهِمَا

فَإِذَا مَا غَبْتُ أَرَانِي

فِي مِرَاةِ الْوَجْهَيْنِ هِلَالاً ..

لَكَأَنِّي أَخْرَجْتُ

وَرُوحِي تُنْعِشُهَا الْبَهْجَةُ ،

حَيًّا مِنْ حَيٍّ ..

## من إيقاعات التَّخْتِ الشَّرْقِيِّ

---

---



## قانون

قد تأخذني موسيقا «التَّخْتِ الشَّرْقِيِّ»

المُنسَابَةُ مِنْ شَقَّةِ جَارَتِنَا

فَأَطِيرُ بِأَجْنَحَةِ تَرَاتِيلِ الْعُودِ

وَبَوَّاحِ النَّايِ

وَتَرْجِيحِ كَمَنْجَاتِ الرُّوحِ

عَلَى الدَّفِّ الرِّقْرَاقِ

وَأَنْغَامِ الْقَانُونِ

أَصْوَاتٍ مِغْنَاجٍ تَتصَاعَدُ مِنْ طَبَقَاتِ اللَّحْنِ

وَأَكْوَابٍ تَتَبَادَلُ إِيقَاعَاتِ الْأَنْخَابِ

فَتُغْرِنِي بِتَعَقُّبِ أوتَارٍ تَتَجَمَّعُ مِنْ حَوْلِي

كِي أَبْحَثُ فِيهَا عَنْ شُبَّانِكِ  
أَشْرَفُ مِنْهُ عَلَيْهِ  
تُعْرِينِي كِي أَخْطُوَ نَحْوَ الصَّفْحَاتِ الْمَكْتُومَةِ  
مَنْ كُتِبَ الْمَوْسِيقَا  
لَأُحَاوِرَ إِيقَاعًا يَتَجَوَّلُ بَيْنَ عِلَامَاتِ التَّرْخِيمِ  
رَشَاقَتُهُ تُعْرِي بِالسَّطْوِ عَلَى وَمَضَاتِ  
فَوَادِ صَبِيٍّ يَتَوَهَّجُ بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَاللَّحْنُ الْمُتَوَاتِبُ كَالْهُدُودِ فَوْقَ سَطُوحِ الْأَذَانِ  
يَتَحَدَّثُ عَنْ أَحْلَامٍ لِلجِيرَانِ  
يَصُوغُ مَلَامِحَهَا فِي أَقْوَاسِ مَنَاسِكِهِ  
عَقْلٌ يَتَمَايَلُ كَالسَّكْرَانِ  
كَانَ الْقَانُونُ رَهِيْفَ الْإِيقَاعِ  
«حِجَارٌ» يَتَدَفَّقُ مِنْ شَفْتَيْهِ الزَّيْتُ  
و «رَصْدٌ» يَتَأَلَّقُ فِي عَيْنِهِ الْمَصْبَاحُ

وغيبٌ يَسْتَجِلي في وَصَلتِهِ الشُّسَاكُ مَواجِدَهُم  
بِعيونٍ أَدَمَتِ التَّجَوالَ  
تُرِيدُ مَقاماتٍ أُخْرى تَنْفَتِّحُ  
كَي يَخْرُجَ مِنْها ما يَرجونُ  
قَدْ نَخْرُجُ هِيفاءً بِثوبِ النَّومِ  
فَتُغْريهِم بِتَتَبُعِ خَطواتِ اللَّحْنِ المُنْداحِ خَموراً  
تُغْريهِم بِتَتَبُعِ أَجْزاءٍ مِنْ جَسَدٍ يَتَشَنَّى كَالضَّوءِ  
عَلى ساقَيْنِ مِنَ الخَطوِ المَوزونِ  
قَدْ يَخْرُجُ تَمثالُ مِنْ طِينِ الشَّهَواتِ  
يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلى الصَّبَواتِ فيُوقِظُها  
يَهِتاجُ العاجُ  
يُرِيدُ مُداعِبَةَ الأَبْنوسِ المُتَجَلِّي في الأوتارِ  
فَيَصْنَعُ تَمثالاً مِنْ طِينِ كالتَّبَرِّ  
وَيَنْفِخُ فِيهِ

ولكن .. لا روح .. فيأسى  
لِيُطِيبَ خَاطِرَهُ الذَّهَبُ الْمُتَنَاثِرُ  
مِن رَاحَاتِ التَّصْفِيقِ النَّشْوَى  
بِالشَّكْلِ الأَوْحِدِ لِلْمُضْمُونِ  
تُغْرِينِي تِلْكَ الأَلْوَاحُ المَنْقُوشَةُ بِالألْوَانِ السَّرِيِّ  
عَلَى الأوتارِ  
وَيُغْرِينِي العُنْوَانُ المُتَأَرِّجُ  
كِي أَكْتُبَ فِي دَفْتَرِ أَيَّامِي  
مَا تُوحِي الأَلْوَانُ بِنِعْمَتِهِ المَرْسُومَةِ  
فِي شَفَةِ المِيزَانِ  
هَلْ تَكْتُبُ مَا أَقْرَأُ فِي شَفْتِيهِ  
مِن الدُّرْرِ العَيْنَانِ؟!  
وَإِذَا مَا قَرَأْتُ جَارْتُنَا «الْمَنْظُومَةَ»  
بَعْضاً مِّن دَفْتَرِي السَّرِيِّ

ستجفُّ

ثُمَّ ستسألني :

هذا المكتوبُ غريبٌ عمَّا عزفتُهُ الريشةُ

من أين أتيتَ بهذي الكلمات الوحشيَّة

يا هذا الولدُ المأفونُ؟!!

من أين أتيتَ بهذا التفسير الأعشى للألوان؟!!

من أين؟! ومن أين؟! و..

\* لكنِّي ضيَّعتُ التفسيرَ المُبصرَ يا جارةُ

منذُ بدايةِ تقويمِ السَّيَّانِ

هل يُرشدُني كي ألقاهُ

إمامٌ في فقهِ الأوزانِ

خبيرٌ في علمِ التأويلِ

نطاسيُّ

أو ملاحٌ خبِرَت دَفَّتُهُ إيقاعَ الموجِ

على الألوأخ؟!!

أم أني لا بُدَّ سأسألُ عنه

غُرَابَ اليَينِ

ومصباحِ علاءِ الدينِ

وجدي وعصاهُ

وأيوبَ المُتَقصِّيِ خطواتِ الحوتِ

وأبناءَ الجنَّةِ والتفَّاحِ؟!!

وسأسألُ رَفَاتِ مناديلِ الميناءِ

وساقيةَ الضوءِ فُويقَ مَويجاتِ النهرِ

وصفصافَ النبعِ تدلَّتْ أذْرُعُهُ

كي تَلثَمَ همساتِ الشُّعْرِ

ولُبْنِي

ومواكبَ عُشَّاقِ يَرتحلون إلى المجهولِ ..

وسأسألُ أَنَاتِ اللَّيْلِ

وحراس الخيل  
وقبرة سكنت نافذة فوق الشباك  
وعمرًا يتدحرج فوق حرير الأفلاك  
وأقلامًا تنزف فوق الأوراق  
مدادًا من جرح الندمان  
هل أسأل صيحات الطلاب  
المحتفلين بفوز الألعاب  
المأخوذين بإغراء كتاب في «علم اللهو»  
يوزعه فقهاء بناء «الجيل الصاعد»  
بالمجان؟!  
هل أسأل قراء الكف  
وأختهم قارئة الفنجان؟!  
لا بُدَّ

سَأَسْأَلُ أَيْضاً عِنقُودَ الدالِيَةِ

يَمَامَ صَنُوبَرَةَ البِستَانِ

الصخْرَةَ فِي الوادي

يَقْتادُ إِلَيْها الذئبُ غزالاً

أَسأَلُهُ

أَسأَلُنِي

فُنْجِيبُ بلا شَفَتَيْنِ :

فَتَّشْتُ الأَنْباءَ

تَفَحَّصْتُ الكُتُبَ المَنْسُوخَةَ فِي عُرفِ

هُوَاةِ فنونِ «التخت الشرقي»

وَحاورْتُ الأَرْجاءَ

وَلكنِّي ...

هل ضاعت أخبارُهُ في أثناءِ البَحْثِ

عن الفاعلِ في جسدِ المفعولِ؟!  
أو في آراءِ الجاهلِ في القولِ المجهولِ؟!  
أو في أقوالِ الناحلِ في الرأيِ المنحولِ؟!  
آ...هـ

كم أتعبني البَحْثُ!  
وكم تُتعبني الأوتارُ العطشى للَّحْنِ  
الكامنِ في إيقاعِ الغيْثِ  
وتُغريني كي أكتبَ في دفترِي المفتوحِ  
عن النَّغمِ الأنسيِّ من القانونِ!  
هل ترمقُني الجارَةُ في هذا الوقتِ من اللَّيلِ  
بعينِها الجارحتينِ؟!!

أم أنني أتوهمُّ؟!  
هل أرهقني البَحْثُ وأرهقني التسألُ

وهل؟! ..

قد تغدو الأسئلة طريقاً شائكةً

لا يسلكها في زمن الأجوبة العُصماءِ

سوى المجنون!

## خيولُ الوقت

للوقتِ أوراقٌ ليكتُبَ ما يشاءُ من الدقائقِ

مَوْعِدٌ ليريقَ خمرتهُ على

دربِ الحياةِ الصَّعبِ

أمنيَّةٌ لينسُجَ غيمَةً في الأفقِ

بيضاءَ السريرةِ

غابةٌ ليربِّيَ الغزلانَ في جنباتها

والطَّيرَ في شجراتها

والذئبَ كي يصطادَ أو يصطافَ

آلافُ العناكبِ والكواكبِ  
وَشَوْشَاتُ اللَّيْلِ فِي أُذُنِ الصَّبَاحِ

لِلوَقْتِ أَشْكَالُ وَأَلْوَانُ وَأَسْمَاءُ

لُغَاتُ

أَسْطُحٌ ، وَحَدِيثُ سُمَارٍ

وَشَعْرٌ يَلْبَسُ الصَّفْصَافَ

أَشْعَارُ كَسْرِبِ النَّحْلِ

أَذَانٌ لَيْسَمَعُ مَا يَقُولُ النَّهْرُ

قَنْدِيلٌ يَجُوسُ اللَّيْلَ كِي يَأْتِيَ الْفَرَاشُ

إِلَيْهِ مُبْتَهَجاً

وَقَلْبٌ طَافِحٌ بِالْعَشْقِ يَهْزَأُ بِالْخَرِيفِ

وكأس مَوَالٍ يُنادمُ ما تبقى  
من كَمَنجاتِ الأَقالِمِ

ولنا طريقٌ واحدٌ

كي ندخلَ الأوقاتَ

نَجني ما نَشاءُ من القِصائدِ

نرُسمَ الواحاتِ بالغلَوانِ

بالشَّفَقِ السَّنيِّ الحَدِّ

باللِّفاتِ

هل نَحشى الذئابَ؟

الليلُ يَستَرنُنا فنركُضُ في شِعبِ الوهمِ

مُتَّسِحينَ بالأصداءِ

يَسكرُننا الفَراشُ وما يُجدُّ من جراحِ

فإذا القناديلُ استقالت

أين تأخذنا الدقائقُ والشُّهورُ؟

وأين تأخذنا القصائدُ حينَ نُسلمُها القيادَ؟

وهل ستُسعِفُنَا النُّدورُ؟

وقد نسينا فوق أرصفة الطفولةِ

ما حفظنا من حكاياتِ الرحيلِ

وما رسمنا من أمانينا ظلالاً

فوق أشرعةِ الرياحِ؟!

هو غابةٌ كالبحرِ تُدخِلُنَا إليها

ثمَّ تتركنا كموجٍ أو ظلالٍ ..

هو رحلةٌ كالريحِ تَحْمِلُنَا بعيداً

حولَ أنفسنا نُفْتَشُ عن مآلٍ

هو.. لستُ أعرفُ

كم سأسألُ عن حقيقتهِ

وخطوي مُثقلٌ بالخطو يتبعني قليلاً

ثمَّ يتركُني وحيداً

أقتفي أثراً يلوحُ على حدود الاحتمالِ

كما المُحالُ؟

للوقتِ في جسدي خيولٌ

كم سترمَحُ بي؟!

وكم أُحصى سنابكَ وَقَعِها حولي؟!

أَتَحْتَمِلُ الغبارَ الروحِ في هذي الفلاةِ؟!

الغَيْثُ مُكْتَبٌ يُفْتَشُّ عَنْ سَحَابَتِهِ لَيْسَاءَهَا

فَهَلْ يَجِدُ السُّؤَالَ؟!!

أَنَا مَنْ أَنَا؟!!

وَالْوَقْتُ يَحْمِلُنِي سَرِيعَ الْخَطْوِ

يَذْهَبُنِي الْخَرِيفُ

وَلَيْسَ يُسَعِفُنِي حَنِينٌ أَوْ رَجَاءٌ؟!!

أَنَا مَنْ أَنَا؟!!

كُرَّةٌ تَقَادِفُهَا الْأَمَاكِنُ أَمْ صَدَى

يَلْهُو بِهِ طِفْلٌ الدَّقَائِقِ

ثُمَّ يَتْرُكُهُ هَبَاءٌ؟!!

أنا زفرةٌ حرّى

تُلامسُ أدمعَ الصّبواتِ

تتقدُّ الحروفُ على الشفاهِ

تصيرُ من وجعٍ

تُدهدُّ طفلةً في الغيبِ

تُرضعُها معاني الماءِ كي تنمو

أتغدو نجمةً الصُّبحِ المُعلِّقِ في المدى؟

أم سوفَ تخطفُها خيولُ الوقتِ راحةً

فينكفى الضياءُ؟!

أنا واحةٌ للنخلِ

آفاقٌ من الأصداءِ

كُونُ عَامِرٍ بِالضَّوِّءِ

لَا يَأْتِي عَلَيَّ اللَّيْلُ مَهْمَا جَنَّ

لَا يَأْتِي عَلَيَّ الدَّهْرُ مَهْمَا جَنَّ

لَا يَأْتِي الرَّدَى

فَلَقَدْ فُطِرْتُ عَلَى النَّمَاءِ

فَلَقَدْ فُطِرْتُ عَلَى النَّمَاءِ ..

## بعيداً عن الصمت

قُمْ تَكَلَّمْ

لكي يَسْكَبَ الأُقْحوانُ الحروفَ على رأسِهِ

مُسْتَضِيئاً بأنجُمِها الناهدة

قُمْ تَكَلَّمْ

لكي يَشْرَبَ الماءُ من نبعِكَ الشَّرِّ

عَذْبَ الكلامِ

فهذا الطريقُ طويلاً ..

إلى آخرِ العُمُرِ نَمشي

وَيَمْشِي بِنَا الْعُمُرُ نَحْوَ الْأَبَاطِيلِ  
قَدْ تَسَخَّرَ السَّنَوَاتُ الْحَلِيَّاتُ مِنْ عُمُرِنَا

قَدْ نَحْنُ قَلِيلاً إِلَى بَيْتِنَا

ضَحْكَةُ السَّنَدِيَانِ

الْمَغَارَةُ فِي أَسْفَلِ السَّفْحِ

زَوْجِ الْعَصَافِيرِ فِي ضَفَّةِ النَّهْرِ

يَشْدُو عَلَى طَرْفِ الْمَائِدَةِ ..

ثُمَّ حَدَّثَ غَزَايَاكَ الْبَيْضِ

عَنْ هِجْرَةٍ كُنْتَ رُبَّانَهَا ذَاتَ ضَيْقِ

إِلَى شَاهِقَاتِ الْجِبَالِ

إِلَى الصَّخْرِ

يَكْتَنِزُ الضُّوْءَ فِي أُسْطُرٍ شَاهِدَةٍ

من هنا مرَّ يوماً أبوك  
ومن قبله مرَّ أجدادك الصَّيدُ  
أجيادهم تسبقُ الصوتَ ضامرةً  
يقرؤون السماواتِ والخضرةَ البكرَ والشَّعرَ  
أو يشحذون الضَّيَاءَ إذا الليلُ جنَّ  
يُمنونَ أنفسهم بالسَّحابِ  
لكي يشربَ الوردُ  
يستقبلون الضيوفَ  
يُغنون في العرسِ  
قد يسْمرون على ضوء قنديلهم ناعسِ العينِ  
يُعطون أبناءهم قطعاً من رغيفِ  
وزيتاً

وناراً لِيُمضُوا لِيَالِيهِمُ الْبَارِدَةَ  
إِنْ تَوَقَّفْتَ مُسْتَشْرِفاً بَعْضَ أَفْقِ يُلَوِّحُ :  
مِنْ هَاهُنَا مَرَّةً أَطْلَعَ الْوَحْيُ أَقْمَارَهُ

آيَةً آيَةً

ثُمَّ ضَاءَتْ بِهِ الْبَيْدُ

كَلَّلَهَا نَخْلُهُ

هل ستسعى إلى رحلة في الشتاء

وأخرى على هامش الصيف

تمضي إلى واحة في السماء تُحدثها

عن صباحٍ على بُعدِ فَجْرَيْنِ يَأْتِي؟!!

تَوَسَّلَتْ كِي يَهْطَلُ الْغَيْثُ فَوْقَ الرَّبِوعِ

التي جففت في الضروع  
وأضحت سراباً على غربة

الصحف البائدة

من يشدُّ إلى نقطة في البعيد الرِّحال؟

الصَّبِي الذي كتته ذات عُمُرٍ

يُداعِبُ قيثارةً تحت ظلِّ الفؤادِ

فتأتي إليه الفراشاتُ مَمشوقةً

أم تُراهُ الخيالُ الذي بتَّ تهوَاهُ؟

من أوَّلِ الحلمِ تَحْمَلُهُ مُورِقاً

كم ستبقى تُحدِّثُهُ عن سماءٍ تُداعِبُهَا

كُلَّ يومٍ أصابعكِ الراعِشةُ؟

كم ستثأل من أحرفِ الشُّعْرِ

ألحائِك التائقَاتُ؟

الأمانِي يُغزلُنَ عِينِيكَ

انظُرْ :

على آخرِ الدربِ إضمامةً من شموِسِ

تُراها ستكفيكَ كيما تُنورَ

أيَّامَكَ المُوَحِشَةَ؟!!

## غريبان

- ١ -

لائذاً بالرصيفِ

أشاهدهُ كلَّ يومٍ فأعطيه تُفاحَةً

قالَ : إِنِّي مَلَلْتُ الخَطِيئَةَ يا سيِّدي

أعطني قطعةً من رغيفٍ

( كان لي هامشٌ

حينَ يأتي يُنادمني الشُّعرُ

نأوي إلى مقعدٍ كالشُّراعِ على مَتْنِه

- ١٥٩ -

أَيُّ بَحْرِ هُنَا كَانَ يَحْمِلُنَا ؟  
سَاعَةً نَحْوَ شَطِّ يُحَدِّثُنَا رَمْلُهُ  
عَنْ غَرِيبٍ يُعَاوِذُهُ كُلَّ لَيْلٍ  
وَيَسْأَلُهُ عَنْ عَيُونِ الْمَهَا  
سَاعَةً نَحْوَ أَرْضِ تُسَامِرُنَا غَيْدُهَا  
سَاعَةً نَحْوَ عُمَرَ يُسَاوِرُنَا كَالْخَرِيفِ )

- ٢ -

عَائِدًا مِنْ جَحِيمِ الْمَرَارَاتِ كَانَ الضُّحَى ،  
مَرَّرَ فِي بُرْهَةٍ كُنْتُ فِيهَا شَغُوفًا فَأَتَّبَنِي :

لَا تُحِبَّ

الْهَوَى يَقْتُلُ الْعُمَرَ

- ١٦٠ -

يُلْقِيهِ فِي مَهْمِهِ مُدْهِمٌ  
وَلَكِنِّي صرْتُ حُبًّا أَطِيرُ  
إِلَى نُقْطَةٍ مِنْ عَيُونِ الْحَيَاةِ أَنْادُمُهَا  
قَالَ :

وَهُمْ هَذَا الَّذِي أَنْتَ فِيهِ  
انْعَتِقْ مِنْ إِسَارِ الصَّبَابَاتِ  
أَطْفِئِ قَنَادِيلَهَا  
وَانْهَلِ الحُلْمَ كَأَسَاً مِنَ اللَّيْلِ  
اسْكُبْ غِنَاءً عَلَى العُتَمِ  
اقْبِضْ عَلَى الرِّيحِ  
إِنِّي قَبِضْتُ عَلَى الجَمْرِ فَاحْتَرَقَتْ أَضْلُعِي  
مَنْ لَطَى نَبْضِهِ فِيَّ

اقطف من الأفق أنجمه  
كي تُوشِّي بها صورة الأم في عيدها  
وافتح الكلم المغلقات  
استحم بليكة  
وانثر العطر في وجهها كي تُضيء

( موطن يستضيء بنا  
عندما يهطل الليل  
نذوي طواعية كي يُضاء  
فيطفئنا واحداً واحداً  
ثم يئنرنا  
يفرشُ الدمع ما فوق أشلائنا مثل سجادة

قد يُصَلِّي ويقرأ ما شاء

من سُورِ الحَزَنِ

أو يقرأ الزلزلة

هل سيعبرنا الذاهبون إلى حتفهم

يحملون قصائدهم في الرثاء لأبنائهم؟

مَوْطِنٌ يَعْبُرُ الْمُتَرْفُونَ إِلَى قَصْفِهِمْ

جَسْرَ آلامِهِ

نَحْوِ رَكْبِ الغُزَاةِ

على خَطْوِهِمْ يُنْثَرُ الزَّهْرُ والأُضْحِيَّاتُ

تُراهِمُ يَرُونَ الَّذِي قِيلَ يَوْمًا:

(يَجِيءُ؟)

## مَحْكَمَةٌ

### رَقِيمٌ

يَرَسُمُ الشُّعْرُ وَجْهًا

عَلَى صَفْحَةٍ فِي الْكِتَابِ

وَيَمْضِي إِلَى بَيْتِهِ مُتَعَبًا

يَشْرَبُ الشُّهْدَ مِنْ كُوبِهِ

فَوْقَ مِصْطَبَةٍ مِنْ حَجَرٍ

هَلْ سَيْنَأَى عَنِ الْأَهْلِ

يَعْدُو إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَعَلَاءً

تُطَارِدُ ذَبَابَةً!؟..!

- ١ -

مَنْ تُرَى يَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ!؟

قالها عاشقٌ حين ألقى به الحبُّ

في غربةٍ تحملُ الجُبَّ في عبِّها

قالها شاعرٌ صادرت ما يقول المراسيمُ

نادتهُ باسمِ الذين انتهوا في الرُّخامِ

قالها عارفٌ شرَّدتهُ الأقاويلُ

حين انتمى عقله للأمامِ

قال لي قادمٌ

ودَّعَ الأهلَ والصَّحْبَ خلفَ البحارِ

ليصحو على صخرةٍ قُربَ دارِ

- ١٦٥ -

تراءى له غامضاً كالمنام :

إنَّ هذا المَدَى ضَيِّقٌ

كُلُّ شَيْءٍ هُنَا ضَيِّقٌ

ما عدا ذلكَ الـ.....

فهو مُتَّسِعٌ

قلتُ : هذا ..

وأخففتُ صوتي .

هُنَا .....

ثُمَّ جَفَّتْ عَلَيَّ بَعْدَ قَيْدِ لَهَاتِي ..

ثُمَّ عَيْنٌ تُرَاقِبُنِي ..

مَنْ تُرَى يَسْتَطِيعُ الكَلَامَ !!؟!!

قال لي :

وجه من في الكتاب ؟

انتبهتُ إلى أنني أرسم الصُّبحَ

في صفحةٍ كلَّ يومٍ وأتركه نائماً

قلتُ : هذا ...

وأغلقتُ في الصوتِ باباً تُعذِّبني ريحُه

قال :

من أنتَ يا أيها ال .. ؟

قلتُ : إنِّي ...

وأكملتُ في السرِّ ما كنتُ أفعلُه

قال : انطقُ ..

تحدّثُ عن رحلة السندبادِ إلى الشرقِ

عن طائرِ الرِّخِّ

عن بَيدِرٍ في أقاصي الجبالِ

يُكلِّلهُ قمحُه

عن طيورٍ تُلوِّحُ لي كي أُطيرَ

عن الريحِ تَذرو أحاديثنا مثلَ رملٍ

وتتركُنا في العراءِ

عن الطفلِ يَجُبو إلى عُلبَةٍ فارغةٍ.

قال : وقّع هُنا ....

: لم أجِدْ قلماً

قال : هذي الدُّواةُ وإبهامُك الأيسرُ ....

الآن خُذْهُ إلى ....

- ٣ -

نَسِيَ الكَهْلُ مِيعَادَهُ .....  
حينَ مَرَّتْ على مَقْعَدِ  
في أَقاصِي الخِيَالِ تَذَكَّرَهَا  
أَمْسِ كُنَّا على شَاطِئِ البَحْرِ  
طِفْلَيْنِ نَلْهُو على الرَمْلِ  
يَسْأَلُنَا المَوْجُ أَن نَقْطِفَ الشَّعْرَ من بَوَاحِ  
لَمْ نُعِرْهُ انْتِبَاهاً ..  
على بُعْدِ سَطْرَيْنِ من صَوْتِهِ  
خَيْمَ الصَّمْتِ  
قَبَّلْتُهَا .. ثُمَّ حَلَّقْتُ في شَعْرِهَا نَورِ سَاءً  
صَارَتِ الشَّمْسُ تَدنو إلى وَجْهِهَا

- ١٦٩ -

كُلَّ صُبْحٍ تُدَاعِبُهُ  
تَنْشُرُ الدَّفءَ فِي خَدِّهَا  
تَرَشِفُ الخَمَرَ مِنْ ثَغْرِهَا  
ثُمَّ تَعْلُو لِتَقْرَأَهَا مِنْ بَعِيدٍ كِتَابًا  
وَكُنَّا عَلَى مَوْعِدٍ  
كَدْتُ أَنْسَى  
فَذَكَّرَنِي صَوْتُهَا قُرْبَ قَلْبِي ..

- ٤ -

نَامَ فِي وَرْدَةٍ ...  
حِينَ فَاضَ الشَّذَا مِنْ يَدَيْهَا أَفَاقَ  
اسْتَحَمَّ بِقُبُلْتِهَا ثُمَّ طَارَ

- ١٧٠ -

الجناحانِ من يَقْطِئِ  
والمدى ناعسُ الطرفِ يُغْرِيهِ  
قالت لنا وردةٌ في البعيدِ توَلَّها  
في يدي حَطَّ بالأمسِ شَهِداً  
وقبَّلني  
من فمي ..

- ٥ -

كم تصفَّحْتُها في الكتابِ !  
هنا الشَّعْرُ ليلٌ يُحدِّثني عن نجومِ  
يُجَبِّها عن عيونِ المُريدينَ  
خوفاً عليهم

- ١٧١ -

إذا ما رأوها يُفارقُهُم عقلُهُم ...

ثُمَّ حَقْلٌ مِنَ الْجُلْنَارِ

تَبَاهَى عَلَى الصِّدْرِ رُمَانُهُ

أَيُّ صَبٍّ أَنَا؟!

كِي أُعَدِّدُ نِيرَانَهَا حِينَ تَأْتِي إِلَى حَيِّنَا؟!

أَيُّ صَبٍّ أَنَا؟!

يُرْسِلُ الْقَلْبُ قُبْلَتَهُ فِي الْهَوَاءِ سَنُونَةً

كَمْ عَيُونٍ تُطَارِدُهَا!

كَمْ عُقَابٍ تَفَادِي مُجَارَاتِهَا!

كَمْ لُحُونٍ هَفَّتْ كِي تُوقِّعَ نَبْضَاتِهَا!

خَلْتُ أَنِّي أَرَى مَوْكِبًا مِنْ قُلُوبٍ يُرَافِقُهَا

حَيْثُ تَمْشِي

فَأَدْنُو لِأَشْتَمَّ رَائِحَةَ الْيَاسْمِينِ

أَفَقْتُ عَلَى صَوْتِهَا حِينَ لَمَّا أَزَلُّ

عِنْدَ سَطْرَيْنِ فِي صَفْحَةِ الْبَدءِ ..

أَوْقَفَنِي عَبَسًا :

وَجْهٌ مَن فِي الْكِتَابِ !؟

## تَرْجِيحُ أَوَّلِ

لِلْحُزَنِ أَوْ تَارُ الْكَمَانِ

وَلِي فِضَاءَاتُ التَّاسِي

فِي مُقَارَبَةِ اغْتِرَابِي

قَدْ تُصْبِحُ الْخَفَقَاتُ أَشْرَعَةً

وَرِيحُ الْوَجْدِ تَدْفَعُهَا

لِتَسْبَحَ فِي عُبَابِي

أَوْ قَدْ يَصِيرُ الْمَاءُ أَشْجَانًا

تُدَاعِبُ أَضْلَعُ الْمَلَّاحِ

كي يدع الحكاية فوق دفتيه

تحدث عن منادمة المسافر للرغاب

للوجد فمصان الدموع

فهل ستلبسني قليلاً

حين ينثر ذلك المروج أغنيتين

من زهر الدموع على غيابي؟

سهر يورقني فتشتعل المواجد

أين قلبي؟!

كنت ذا قلب رقيق القلب

تسرقه القصائد من رصائنه

فَيَسْبِحُ فِي بَحَارِ الْعَشِقِ

مَزْهُوَّ الشَّبَابِ

سَهْرٍ يُؤَرِّفُنِي

فَأَرْسُمُ فِي الدُّجَى قَمْرًا

يُسَامِرُنِي قَلِيلًا

ثُمَّ يَغْفُو فَوْقَ طَاوِلَةِ الشَّرَابِ

هَذَا احْتِرَاقٌ أَمْ هُوَ الْإِبْحَارُ

فِي يَمِّ الْفَرَاغِ

وَقَدْ تَجَمَّعَ فِيهِ مِنْ كُلِّ الشَّوْاطِئِ

رَمْلُهَا!؟

والمَلْحُ يَكْتُبُ للجِرَاحِ رِسَالَةً

فأَحَارُ: كَيْفَ أَفْسِرُ الرَعِشَاتِ

في صَمْتِ الرِسَائِلِ بِالجَوَابِ؟!!

أَيَكُونُ مَلْهَوْفًا إِلَيْهِ؟!!

أَلَيْسَ يُؤْلِمُهُ؟!!

لَعَلِّي بَتُّ أَعْرِفُ

بَعْدَ هَذَا الحُزْنِ

وَالسَّمَرِ المُوَرَّقِ

مَنْ يَدُقُّ عَلَيَّ بَابِي ..

## ترجيعُ ثانٍ

هذا مساءً مُوجِعٌ

يَتَنَفَّسُ الآهَاتِ مِنْ رُئْتِ الْمَدِينَةِ

عَرَقٌ يُفَاجِئُهُ وَحِيداً فِي الْمَصْحِّ وَلَا دَوَاءَ

نَسَجَتْ عَلَيْهِ الْعَادِيَاتُ ثِيَابَ شَحَاذٍ

يُفْتَسُّ عَنْ رَغِيفِ الْخُبْزِ

مُنْكَسِرَ الْخُطَا

حَيْرَانَ ، أَوْ ظَمَانَ لَا يِرْتَاحُ

تُمْطِرُهُ الْعَيُونَ بِمَا يَخَافُ

وَلَيْسَ يُسَعِّفُهُ نِدَاءُ

يا أيها الوقتُ المُسافرُ في إهابِ الخوفِ

أنظِرني قليلاً

كي أرتّب ما تبقي في جُفوني من ضياء

أنا لا أرى ..

كان الشهادُ محارزاً والصمتُ يفضحني

أعني؟!!

لا ..

ولكنني ينوءُ بي البكاءُ

هذا مساءٌ راعشُ الأجنانِ

مُغتربٌ

بَطِيءُ الْخَطْوِ

وَالطَّرْقَاتُ مِثْلَ الرَّمْلِ تَشْرَبُهُ

فَتَشْرِقُ حِينَ يُوَلِّمُهَا أَيْنَهُ

هَذَا مَسَاءٌ مُوجَعٌ

يَتَوَسَّدُ الْآهَاتِ فِي سُرْرِ الْمَدِينَةِ

هَلْ مَنْ يُطْمَئِنُّهُ قَلِيلًا كِي يُنَاجِي

صَوْتَ أُغْنِيَةٍ وَيَكْتَبَ مَا يَشَاءُ؟

## ترجيعُ ثالث

- ١ -

وهل كنتُ أمشي على خيطِ ماءٍ  
لكي يسرقَ الرملُ منِّي الطريقُ؟!  
ألحاقاتُ تستلُّني مثلَ نضلِّ وتطعنُني  
أهو الفقدُ أم خيبةُ الصوتِ  
في غابةٍ مُقفلةٍ؟!!

- ٢ -

إلى أيِّ دربٍ ستمضي بكَ الريحُ؟

- ١٨١ -

يا أيها الغيمُ  
عَرِّجْ على أرضنا مرَّةً كُلَّ شهرٍ  
وقُلْ ما تشاءُ  
الكلامُ الذي قُتِّعَ قَبْلُ  
أخرجنا من ثيابِ الرمالِ

- ٣ -

إثمهم يذبحون الغزالاتِ  
كي يُخرجوا المسكَّ من دمها ..  
إثمهم يحرقون النخيلَ  
لكي يُخرجوا الفحمَ من جذعه  
للنراجيلِ تُلقِي على شاطئِ الروحِ قُطراتها ..

- ١٨٢ -

إنهم يملؤون الفضاء دُخاناً  
فمن يُخرجُ الماءَ من يابسِ الصخرِ  
كي يُطفئَ النارَ في جامحاتِ النِّصالِ ؟ ..

- ٤ -

يَمتطي الشُّعْرُ مُهراً ويُردُّفني  
ثمَّ يَمْضي إلى غابَةِ عندِ نهرِ الخيالِ  
هل تُراني أتيتُ لكي أجمعَ الوردَ  
والأحرفَ المُثقلاتِ بما يُشبهُ الجَمْرَ ؟  
إن تُهتُ في هذه الأَكْمامِ التي تكتُمُ السرَّ  
منْ ذا سيرُشدني كي أعودَ إلى خُطوتي  
في أعالي الخيالِ ؟

- ١٨٣ -

أَسْعَى إِلَى وَطَنِ  
فِيهِرْبُ مِنْ خُطَايَ الدَّرْبِ  
قَالَ اللَّيْلُكَ :

الْحُرَّاسُ دَرِبُهُمْ لِهَم  
وَلِي الْمَتَاهَاتُ الرَّحِيْبَةُ وَاللُّغُوبُ  
أَسْعَى إِلَى قَمَرٍ فَيُطْفَأُ....  
إِنَّ لِلسُّلْطَانِ أَقْمَاراً  
وَلِي شَمْعٌ يَنْدُوبُ  
لِي الْغُرُوبُ  
فَإِذَا تَمَرَّدَ فِيَّ مَا يَدْعُونُهُ قَلْباً  
/ يُحَاوِلُ /

هل يُصادُ؟!!

أليس للسُّلطانِ أضلاعٌ لتُخفقَ

أو يمرَّ بها وجيبٌ؟!!

هذا أنا

وعُلُّ شريدٍ في الشُّهوبِ ،

أكلَّما حاولتُ أن أصطادَ قُبلةً

هَبَّتِ الرِّيحُ ،

البلاطُ استلَّ سكينَ الفقيهِ

المُستحمِّ بمسكِهِ وإمائِهِ

وظلامُهُ المُتوقِّدُ العينينِ يرمقُنِي

يُؤَوَّلُ مَا لَدَيَّ !!؟؟

أَقْبَلَةٌ يَا بَنَ الْ.. !!؟؟

وَيَرْتَعِدُ الْكَلَامُ عَلَى الشَّفَاهِ

صَلِيلُ أَنْفَاسٍ تُجَرِّدُ ...

هَلْ سَيَجْعَلُنِي التَّلْظِي

حِينَ يعلو

راضياً أَخْتَارُ قَتْلَهُ !؟

## تقاسيم على قيارة الروح



## رواية

وَيُطِلُّ مِنْ صَوْتِ الْحِكَايَةِ

وَجْهَهُ بَحَّارٍ

يُفْتِّشُ عَنِ لَأَلَى

فِي بَحَارِ الْمُسْتَحِيلِ

وَأَكُونُ أَسْمَعُ مَا يَقُولُ الْبَحْرُ

فِي مَثْنِ الرِّوَايَةِ

ثُمَّ أَكْتُبُ مَا أَرَاهُ عَلَى شِفَاهِ

مِنْذُ دَهْرٍ

لَيْسَ يُدْرِكُ مَا تَقُولُ

ولسوفَ يَقْرَأُ مَا أَخْطُ

العابِرُ المحزونُ

يَجْلِسُ

أَوْ يُجَاوِلُ أَنْ يَفُكَّ الشَّمْسَ

مَنْ أَسْرَ الأَفْؤُلُ

## طيف

- ١ -

على نخلة قُربَ وَجدي القديمِ

تراءت لي

الوجهُ:

هل قمرٌ يُشرقُ الآنَ؟!!

والمُقلتانِ:

شراعانِ أم ...؟!!

أيها البحرُ خُذني إلى جُزرِ الحُلمِ

والشَّعْرِ

- ١٩١ -

يا مُعجماً للحروفِ والنضيراتِ والشَّهَدِ  
إئني ..

وأعيا عن النُّطْقِ

يا أيُّها الحَبْرُ دعني

على بُعْدِ عَيْنَيْنِ من نخلها

أحرفاً لا تَنَامُ

- ٢ -

شَجِيٌّ أَنَا خَلَفَ هَذَا الْكَلَامِ

كَأَنِّي أُوَارِيهِ فِي بَسْمَةِ

من زمانٍ بعيدٍ

يُحْمَلُنِي كُلَّ أَيَّامِهِ

ثُمَّ يَتْرَكُنِي مُرْهَقاً فِي الطَّرِيقِ .

شَجِيٌّ

- ١٩٢ -

ولكنني أعشقُ الابتسامَ  
أُعاقرُهُ كلَّ يومٍ  
على صفحةِ الكأسِ  
أُقرئُهُ ما تنهى إلى مسمعي :  
الابتسامُ على ثغرها يبدُرُ  
كيف أسمو إلى أفقهِ نجمةً من عقيقٍ؟!  
شجبيُّ أنا  
غير أنني سعيدٌ  
بما تركُّ النارُ في راحتي  
في مدى مُقلتيَّ  
وفي آخر السَّطرِ  
من أغنيات الحريقِ

- ٣ -

كنتُ أصغِي إلى نَعْمَةِ الرُّوحِ

من ريشةٍ مثل حَرْفَيْنِ

في خَافِقِ

حينَ مرَّتِ على شُرْفَةٍ في البعيدِ

صِغَارًا من الطَّيْرِ تشدو

تَوَهَّمتُ أَنِّي أُرَافِقُهَا

نَعْمَةُ العُودِ إِضْمَامَةٌ في يَدِي

هل يَشْمُ الكَلامَ الذي طَيَّرتِ عَطْرَهُ

ذلكَ الشَّجَرُ المُسْتَضِيءُ بفتنتِهِ

عابِقًا؟!

- ١٩٤ -

## على صهوة الريح

- ١ -

أنا لم أكن أسعى إليك

وإنما يسعى إليّ الوقتُ كي أسقيه من خمري

فيلعبَ بالعقولِ

ما كنتُ مُحترفاً غناءَ الزمهيرِ على النوافذِ

غير أنَّ البرقَ بدّدني

وشالّتنِي الرُّعودُ على كواهلها

ولكن

- ١٩٥ -

لم تُطِقْ يوماً فُضُولِي

كم كنتُ أسأُها :

لماذا حينَ تَحْتَفِلُ السماءُ

بما تُجْمَعُ من غيومٍ

تَخْلَعُ الومضاتُ ثوبَ اللَّيْلِ

كي تَرِدَ الخيولُ ؟

فلا تُجِيبُ

فأنحني أسقي خيولي ...

لا الريحُ تسألني إذا ما كنتُ أرغبُ

في الرحيلِ إلى جزائرَ من يواقيتِ

ولكن تَحْتَفِي بمراكبي بعد الوصولِ

وتلّم ما جمعت يداي من اللآلئ

ثم تذرّوها هباءً

حين أسألها: لماذا؟!!

تكسرُ المجدافَ

تطويني قليلاً ثمّ تشرنيني

فأفقدُ ما تبقى من نجومٍ تقتفي جهة الصُّعودِ

إلى مراكبٍ حُمنَ حولي

- ٢ -

هي ذي جذورُ الغابِ تهجرُ أرضها وتفرُّ

لا ماءً هناك ولا هواءً

هي ذي أغانٍ تتركُ الكلماتِ يأسرها الخُواءُ

- ١٩٧ -

فشتهي ريشاً

تُحَلَّقُ ..

صَمْتُهَا سَلَبَ الطيورَ نَشِيدَهَا

فَعَدَّتْ تُحَلَّقُ ..

هل ستقبلها السماء؟!!

بيضاً

كأنَّ نوارسَ الأنعامِ تفتحُها كتاباً

هل تُرى كَتَبَ الرحيْلُ قصيدةً زرقاءَ

فوق العَيْنِ

أحرفُها خيوطُ الغيبِ

فالتأمت وفودُ مواكبِ الأصداءِ

تأنسُ بالنداءِ؟!!

- ٣ -

ويكونُ أن تَنسى القبائلُ ما تَبقى من خيولٍ ..

ويكونُ أن تَشْتَقَّ من فِعْلِ الجُفَافِ

جميعَ أسماءِ الفصولِ ..

ويكونُ أن أسعى إلى كُتُبِ

سَيُغْرِقُهَا المِغْوَلُ غَدًا

وأرثي ما تَبَعَثَرَ من غَمَامَاتِ

على وشكِ الهُطُولِ ..

هل إن كُتِبْتُ على جدارٍ ما سأفعلُهُ غَدًا

يأتي إليَّ جنودٌ من كانوا يَصِيدُونَ الحَمَامَ

ويقطعون السنديانَ

كأنهم حُمَمٌ ستمحو ما تَبقى من كِتَابَةٍ؟

فتجفُّ أُغْنِيَةٌ على شَفَةِ السِوَاقي

- ١٩٩ -

تحت أوجاع السَّحَابَةِ ؟  
وَيُنُوءُ فِي دَرْبِ الوُعُورَةِ شَاعِرٌ  
بِالأَحْرَفِ / النِّبْضَاتِ مُتَعَبِلًا مُصَابَهُ ؟  
هَذَا حَدِيثُ الرِّيحِ يُقْفَلُ دَفْتَرَ الوِمْضَاتِ  
يَشْطَبُ مَا مَجَّعَ مِنْ قِصَائِدَ  
يَلْفَحُ الطِّفْلَ المُعَلَّقَ بِالْيَدَيْنِ  
عَلَى قَمِيصِ اللُّوزِ  
يَلْفَحُنِي  
يَطْوُلُ اللَّيْلُ  
تَقْصُرُ أذْرُعُ الأَضْوَاءِ  
تَسْأَلُنِي عَنِ الأفُقِ المُجَرَّحِ  
بِالأَفْوَلِ ..

## مثل طيرٍ على شجرٍ

مثل طيرٍ على شجرِ الكستناء يُغني

أيتُّ ، وكانت مساءً أُننا من عُبارٍ

توضأتُ

أو قُل تيممتُ

ثمَّ انتحيتُ مكاناً له صورةٌ في الغيابِ

وصلَّيتُ

قالوا: هو الوقتُ من ياسمينٍ

فحلقتُ في قُبَّةٍ عند باب الحديقةِ

أوصيتَ أن تُتركَ النافذةُ

شبه مفتوحة

كي ترى وجهها

وهي ترمي إلى الشارع الورق الممتقى

دفتراً دفتراً

هل حزنت على حبرك ال ضاع

في الأحرف العائذة؟!!

مثل عُمرٍ يُبدِّدهُ تائهٌ بين رسمين

عاصمةٍ تستظلُّ بنخلتها الذابلةُ

وعاصمةٍ تستبدُّ بها الأرجلُ السودُ

غادرتها يومَ جاؤوا إليها

على خيلٍ أبناؤها رافعينَ بنادقهم

قُلْتُ : هذا خيالٌ من الظلِّ

شاهدته ذاتَ حربٍ على شاطئِ البحرِ

ما بينَ خيلِ الفرنجةِ

والنخلِ في ساحةِ الحالمينَ

مَنْ تُرى يَرسُمُ الآنَ وجهاً

على وَجْنةِ الماءِ

يَسعى إلى ضِفَّةٍ لوَنَّتها أصابعُهُ الناحلةُ؟

مَرَّتْ الأرضُ وَجَلَى

وقد أَيْنَعَتْ في رُبَاهَا ذُرّاً

قال شيخٌ له أَلْفُ عامٍ من العُمُرِ :

هذا الدليلُ على موتها

قُلْتُ : يا سيِّدي الشيخَ

إِنَّ ذَاكَ الَّذِي أَصْبَحَ الْقَتْلُ مِهْنَتَهُ

كَانَ مِنْ زَمَنِ بَادٍ

- لا .. يَا بُنَيَّ

تَجَاوَزَهُ الْمَوْتُ

بَلْ إِنَّهُ الْمَوْتُ فِي

هَيْئَةٍ عَاقِلَةٍ ..

## مُحَاوَلَات

كِبْدَايَةِ أُولَى

تُحَاوَلُ أَنْ تُبَعِثَرَ مَا تَجْمَعُ

فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْكَلَامِ

فَتُصِمُّ أذْنَا عَنْ حَدِيثِ النَّاسِ

وَالْأُخْرَى تُفْتَشُّ عَنْ سَلَامِ

وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ أَنْ تَشُدَّ إِلَيْكَ

أَصْوَاتًا تُكْوِخُ كَالْأَصَابِعِ

مِنْ شَبَابِيكَ اسْتَبَاحَتَهَا السَّنَائِرُ

فَاسْتَبَدَّتْ بِالْيِمَامِ

كبدايةٌ أُخرى ستَسألُ :

عندما لا ماءٌ يجري في السواقي

عندما لا خبزٌ في التُّورِ

لا بلدٌ يَضُمَّكَ حينَ تَبْرُدُ

لا سماءٌ كي تُظَلِّكَ حينَ تَسْهَدُ

لا منافعٌ كي تُلَمِّكَ حينَ تَشْرُدُ

هل ستستجدي هواءً كي تعيشَ

ولا هواءٌ مُطلقٌ يَنسابُ؟!

تلكَ مدينةٌ سَجَّتْهُ في قَبْوِ صَغيرِ

تحتَ أشلاءِ الرُّكامِ

كبدايةٌ أُخرى

تُوزَعُ ما جَمَعْتَ

على الصغار  
تُبثُّ في أيامهم فرحاً جديداً  
مُفعماً بالحبِّ والصلواتِ  
كي يجدوا الطريقَ إلى القراءةِ  
والكتابةِ في مدارسٍ كالغمامِ

يهمي إذا ركضوا  
ويهمي إذ ينامُ الليلُ في أحداقهم  
ويظللُ يرقبُهُم بعيني فُلَّةٍ  
تنمو على صحوِ الأسرةِ  
كالمنامِ

## وَجَمَعْتُ مَا نَشَرَ الْكَلَامُ

- ١ -

وَجَمَعْتُ مَا نَشَرَ الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقِي

مِنْ نَجُومِ

أَوْصَلْتُهَا لِلْبَيْتِ نَاحِلَةَ الْأَصَابِعِ

مُرَهَقَاتِ الضَّوءِ

مُثَخِّنَةً

أُضْمِدُ جُرْحَهَا بِالْدَفءِ وَالْقُبُلَاتِ

تَأْنِسُ بِي

- ٢٠٨ -

فتمنحني شفيفَ الضوءِ

كي أجلّو في صمتٍ نديمي

أو كلّما احترقتُ عصفيرُ القصيدةِ

أطلقتُ شفتاكَ هذا الصوتَ؟!!

هل ولدتك أمك في إناء الحزنِ

كي أرثَ المواجهَ كلّها؟!!

وتنوءُ بالأصواتِ .. بي ..

هذي القصيدةُ رعشةُ

أيطيرُ بي هذا الكلامُ إلى مداها

كي أجمعَ ظلّها

ريشاً لعصفورٍ يُحاولُ أن يطيرَ إلى السماءِ

كما الغيومِ؟

- ٢ -

هُوَ وَجْهُكَ المَزْرُوعُ فِي عَيْنِيَّ

لَمَّا يُكْمِلِ الدَّوْرَةَ

حَتَّى خِلْتُ أَنِّي بَضْعَةٌ مِنْهُ

اشْتَهَانِي كَوَكْبٍ

فَانْسَابَ فِي صَمْتٍ وَمَدَّ الكَفَّ

دَاعَبَنِي قَلِيلاً ثُمَّ غَابَ

هَلْ كَانَ حُلْمًا؟

رُبَّمَا ..

وَأَخَذْتُ أَعْبُرُنِي لِأَتَبِعَ خَطْوَهُ

- ٢١٠ -

فأضيعُ بين جناحيِ المكسورِ

والقلبِ المُصابِ

لا ماءً ...

هل أروي غليلَ العشبِ في جسدي

بما أُوتيتُ من بَوحِ

فأدخُلُ في السحابِ؟!!

يَجري السؤالُ على يدي ماءً

فأجري خلفَ نهرِ فاضٍ من

عينينِ زرقاوينِ خلفَ التلِّ

كنتُ إليهما أسعى قُبيلَ الصُّبحِ

لكنني أضعْتُ الدربَ منذُ تساقطِ السنواتِ

في خَطْوِ السرابِ

-٣-

للوقتِ أذْرُعُهُ القصيرةُ والطويلةُ

عينُهُ الحمراء تَرْمُقُنَا

فندوي مثلَ سوسنتين

فوق ستائر الشُّبَّاكِ

مُغْتَرِبِينَ في حقلِ نبتنا فيه

أغنيةً ولحنا

للوقتِ أحرفهُ الرهيفةُ .....

-٢١٢-

قال لي :

إقرأ كتاب الصمت واجتنب الكلام

هنا الحماسة وردة بيضاء

تهدل أو تنوح

الماء صادره اليباب

عليك أن تأوي إلى رحم الحكاية

حيث كنا ..

## لم يَبَقَ سواك

لم يَبَقَ سواكُ

كي تَرْتَقَ هذا الفَتَقَ المُتَراكَضَ

في أجسادِ النُّدَماءِ

الأيامُ تَمُرُّ سَريعاً

ما بين هُماثِ الصُّبحِ وبيتِ اللَّيلِ

لم يَبَقَ سوانا

نتَجوُّلُ مَهْمومينِ على الأَسطحَةِ الحَدِّباءِ

نُدخُنُ كي نَنسى أَشكالَ التَّينِ

فتَغمرُنَا الأَصواتُ بما يُشبهُنا

ها أنت جريماً تتألم

نافذة في آخر بيت

تتفقّد أفرّاح البطّ فويقّ البركة

والقطّ يوضووض

عيناه كثقيبين صغيرين على أهداب الويل

من تلك البنت القادمة من الحيّ الشرقيّ؟

تمعن في مشيتها

هل تُشبهه أختك؟

لا تشتم...

دعنا نتوقف عند حدود الشفتين

وإن شئت استثمر أوقاتك

وارسم خديها في أهداب العينين

ها أنا ذا أَتَفَقَّدُ خُصَلَتَهَا

هل أَعَثُرُ بين ضفائرها الشقراءِ

عَلَيَّ؟!!

هل أَخْبَرْتُكَ أَنِّي قد ضِعْتُ صَغِيرًا

ما بين سطور كتاب التاريخِ

وصيحاتِ ديوكِ الحيِّ؟

هل أُخْبِرُكَ الآنَ بِأَنِّي تَرَجَمْتُ عَناءَ

عصافيرِ الدوريِّ قديمًا

وطبعتُ كتابًا يَتَحَدَّثُ عنها

أو عنكَ وَأَنْتَ تُطَارِدُها؟

هل تَذَكَّرُ؟

لم يبقَ سِوَالِكَ يُذَكِّرُنِي إن شِخْتُ

كأني لا أقدرُ في هذي اللحظةِ

أن أخطوَ من دون عصاي!

علّمني كيف نسجت على القصبِ المزروعِ

على شُرُفات النبعِ حينَ النايِ

علّمني ...

ما زلتُ نجيباً كي أفهمَ

كيف تصيرُ الهمساتُ ياماً

ورسائلُ تُقرأُ في حفلاتِ الشايِ

قد أكسرُ يوماً ميزانَ الشّعيرِ

لأُخرجَ من مُخِّ عظامِ الأوزانِ عنادلَ

أُقرئُها منك سلاماً

وأحاديثَ عن النخلِ المُحترقِ حديثاً

في بغدادَ

يَمُرُّ النِّظَامُونَ عَلَيْهِ وَيُفْتُونَ

بِقَطْعِ الْأَعْنَاقِ .....

\* رُوِيَكَ ..

مَا دَخَلَ الشُّعْرَ بِقَطْعِ الْأَعْنَاقِ؟!!

أَوْ يَغْرُقُ هَذَا الْعَالَمَ فِي جُبِّ

رَسْمَتِهِ عَجُوزٌ فِي دَفْتَرِهَا

كَيْ يَسْبُرَ أَعْوَارَ الْأَعْمَاقِ؟!!

- قَدْ تَعَلَّمُ فِي زَمَنِ آتٍ

أَنَّ الْمَاءَ سَيْشِنُقُ فِي السَّاحَاتِ

وَيُصَلِّبُ حَتَّى فِي عُمُقِ الْأَعْمَاقِ ..

لَا تَهْرَبُ مِنْ تَفْسِيرِ فِلَاسِفَةِ الْعَصْرِ النَّوَوِيِّ

الأيام تَمُرُّ سريعاً

والقنبلةُ الموقوتةُ

انظرُ كيف تسيرُ ببطءٍ

ما بين الوطن المشدود إلى الساحات

وأشجار المنفى

لا تعجبُ إن قلتُ حديثاً يتطايرُ منه البللورُ

وقطعانُ الأشباهِ

وأصواتٌ مثلُ عَزيفٍ في اللَّيلِ

تُفتِّسنا صَفّاً صَفّاً

وتُشتِّتنا صِنْفاً صِنْفاً

ما أنتَ هزازٌ كي تصدَحَ فوق رموش الصنفاصِفِ

وتنقرَ شُبَّاكِ البنتِ

قُبَيْلَ مُرُورِ النُّهْرِ الْمَرْسُومِ عَلَى الْجُدْرَانِ

يُوزَعُ أَسْمَاكَ السَّلْمُونَ

وَيَدْعُو لِلصَّبْحِ الْمَطْعُونِ لِيُشْفَى

أَصْوَاتٌ فَحِيحٌ تَتَوَقَّفُ أَنْ تَجِيءَ

فَمَنْ ذَا يَتْبَعُنِي؟

مَا كُنْتُ لِأَنْسَى أَنَّ لِيَالِينَا فِي الشَّرْقِ

نُعَاسٌ يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ الْمَلَّاحِينَ

وَيَمْلَأُهُمُ بِالصَّخْرِ

فِيَجْتَمِعُونَ فُرَادَى خَلْفَ الْأَسْوَارِ

مَرَاكِبُهُمْ تَتَأْكَلُ عِنْدَ الشُّطَّانِ

فَمَنْ ذَا يَسْأَلُ عَنْهُمْ فِي هَذَا الزَّمَنِ الْمَجْدُومِ؟

مَنْ يَقْرَأُ مَا كَتَبُوا فَوْقَ الْجُدْرَانِ

وما رسموا؟ :

شُطَّانٌ وَمِرَافِئُ

قَيْثَارٌ لِلوَجَعِ الْبَحْرِيِّ

مَرَآكِبُ مِنْ خَشَبٍ كَمَ مَالٍ إِلَى الْأَضْوَاءِ

يُحَدِّثُهَا عَنْ زَمَنِ قَاتَلَ فِيهِ

جِيوشَ الرُّومِ

## من هنا يعبرُ الصُّبحُ

من هنا يعبرُ الصُّبحُ ..

كُنَّا على مَوْعدٍ

جَمَعَتْنَا الحِكَايَاتُ فِي لَيْلَةِ الحُزْنِ

حَشْدًا مِنَ البَشَرِ الطَّيِّبِينَ

الأحاديثُ جَاءتْ عَلَى مَهَلٍ تَنْسِلُ النَوْمَ

من أَعْيُنِ جَالٍ فِيهَا ظِلَامٌ فَبَدَّدَهَا ...

من هنا يعبرُ الصُّبحُ ..

هل أصبحَ الانتظارُ طريقاً إلى النومِ؟!!

حتى المدى ضاقَ

والرأسُ مالت على جذعها .

تبحثُ الكأسُ عن جَرَّةٍ ..

والقناديلُ عن قَطْرَةٍ

والطُفُولَاتُ عن حَلْمَةٍ أو سريرٍ

هُوَ اللَّيْلُ يَعْشَى ..

إلى أين نمضي

ولا دربَ يَمْنَحُنَا خُطْوَةً لِلأَمَانِ !؟

من هُنَا مَرَّ رَكْبٌ ..

يقولُ الأَشْقَاءُ :

كانت على رأسه غيمةٌ  
لوَّنتها شقائهُ  
أعِينُ من نجومِ الندى فوقها  
ترسمُ القمَحَ  
مَنْ يقرأ الغيمَ في قُبَّةِ جللتها يدُ بالدهانِ؟!!

كم يقولُ الأشقاءُ!  
لكننا لا نرى غيرَ أقوالهم  
في الطريقِ تُطارِدُنَا نحوَ أفعالهم  
لا نرى غيرَ ماءٍ يُراقُ على الرملِ  
رملٍ يُهالُ على الماءِ  
جسرٍ يُكسِّرُهُ العابرونَ

عيونٍ تُراقبنا حيثُ سارت بنا الأرضُ  
يا أيُّها الصُّبحُ هل ضيَّعتكَ الدروبُ إلينا؟!  
أم أن ليلاً يُصادركَ الآنَ؟!  
قالوا...

ولكنَّهُم جَدَّدوا السُّمَّ في جَعبةِ الأفعوانِ!

من هنا فَتَحَ الصُّبحُ يوماً أزاهيرَهُ

فاضَّ في الأرضِ

حُبًّا وقمحا

سلاماً يَمُرُّ على وَجْنةِ الطُّفلِ

غيثاً على ذابلاتِ النفوسِ

احتفالاً على وَجْنةِ المهرجَانِ..

من هنا يعبرُ الصبحُ

لا بُدَّ

فُلنا سيأتي غداً صاعداً من دمٍ يانعٍ

من شرايينِ زيتوننا

من تُرابٍ يُعلِّمنا حكمةَ الأرضِ

نهرٍ يُعلِّمنا حكمةَ الماءِ

حرفٍ يُعلِّمنا حكمةَ اللّونِ

في زهرة الأرجوانِ ..

## نموتٌ لتحيَا

وَقُلْتُ : إِذَا غَبْتُ يَا حُلُوتِي

ذَاتَ مَوْتٍ

سَتْرُكُنِي أُمَّتِي فِي الطَّرِيقِ إِلَى ظِلِّهَا

مَوْتُنَا مَوْتُهَا

مَوْتُهَا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحُبِّ كَيْمَا تَعِيشَ

وَنَأْسَى إِذَا مَا اسْتَرَا حَتَّ إِلَى مَوْتِهَا

إِنَّا إِنَّا

وَالسَّهَاءُ الَّتِي تَمَلَأُ بِالْحُزْنِ أَفْتِدَةَ السَّاهِرِينَ

اسْتَمَدَّتْ قَنَادِيلَهَا

من دماء المهاري التي أُهديت للجحيم  
وللناس شأنٌ إذا ما أرادوا الوصول .  
استقلتُ من الموتِ يا حلوتي  
حين مات الجميعُ  
وهللتُ من أجلِ رُمانةٍ  
فاض من مُقلتيها النَّجيعُ  
تقدّمتُ للموتِ كي لا يعودَ إلى الخلفِ  
هذا النداءُ البديعُ  
وها أنتِ في ملجأٍ تحتَ سقفِ النخيلِ  
تمنّيتُ أن ألتقيكِ قليلاً  
على ضفّةِ النهرِ  
في الشّامِ أو في الخليلِ

على شاطيءٍ عند بَنَزَرَتَ

أهواكِ إن قُلْتِ :

هذا الجنونُ

وأهواكِ إن قُلْتِ :

هذي المنونُ

وأهواكِ إن متُّ يوماً

على بُعدِ عَمْرَيْنِ من عُمُرنا

كي نكونَ وحيدَيْنِ يَغْمُرنا الياسمينُ

وأهواكِ حتّى انطفأ الكواكب

خلف الشرايينِ

أَهْذِي ، وَأَعْلَمُ أَنِّي سَأَهْذِي ،

إِذَا صرَّتْ لِي حُلْمًا لَا يَكُونُ

تَوَضَّأْتُ يَوْمًا وَصَلَّيْتُ

كَانَتْ مَآذِنُنَا تَرْتَدِي

بُرْدَةً مِنْ حَرِيرٍ

عَقَالًا مِنَ الْقَصَبِ السَّامِرِيِّ

وَكُنَّا عُرَاهُ عَلَى الدَّرْبِ نَمْشِي

تَمَرُّبْنَا فِي الْفَلَاةِ الْقَوَافِلُ سُودًا

عَلَى الْعَيْرِ أَشْبَاهُنَا

ثُمَّ نَمْشِي

وَتَتَّبَعُنَا فِي الطَّرِيقِ الطُّلُوعُ

تُفْتِشُنَا وَاحِدًا وَاحِدًا تُلَكِّمُ الصَّافِنَاتُ

وَمَنْ ثُمَّ تَمَّضِي إِلَى حَيْثُ

تَمَّضِي الْخِيُولُ

سَعِيدَيْنِ إِلَّا مِنْ الْحُزْنِ لَا نَسْتَقِيلُ

بَعِيدَيْنِ عَنْ وَاحِدَةِ الْمُشْتَهَى

جَدَّدَتْ عُزَيْنَا فِي الْكُثِيبِ

الْمُغْلَفِ بِالْمَلْحِ

قَالَتْ لَنَا الْأَحْجِيَاتُ :

اسْتَعِدُّوا

أَتَى الرُّومُ مِنْ خَلْفِكُمْ

وَالْأَمَامُ الَّذِي كَانَ فِي دَرَبِكُمْ

مَلَّ هَذَا الضِّيَاعَ الَّذِي صَارَكُمْ

هَاهُمُ الرُّومُ قُدَّامَكُمْ

فَاسْتَمِدُّوا قِوَاكِمَ مِنَ الْأَنْجُمِ الْبَيْضِ

فِي سِدْرَةِ الْمُتَهَى ..

عُرَاءَةٌ عَلَى الْقَيْظِ نَمَشِي  
وَلَا ظِلًّا يَمْنَحُنَا الرَّمْلُ  
بَغْدَادُ قَالَتْ لـ ..... بَغْدَادُ :

أُخْتِي

تَفَادَيْتُ أَنْ أَلْتَقِيكَ وَلَكِنْ  
لَا بُدَّ مِنْ ذَا الَّذِي مِنْهُ بُدُّ

وَالْمَغُولُ الَّذِينَ أَغَارُوا عَلَى بَابِلِ  
كَمْ يَضْجُ الْفِرَاتُ بِأَجْسَادِهِمْ !؟

أَيَّ وَقْتٍ هَذَا الَّذِي نَلْتَقِي فِيهِ

يَا أُخْتُ !؟

مَوْتُ عَلَى كُلِّ مُفْتَرَقِ

فِي الْبُيُوتِ

ومَقْبَرَةٌ فِي الطَّرِيقِ  
السُّجُونُ الَّتِي كَانَ حَارِسُهَا فَارِسًا لَا يُفْلُ  
اسْتَبَدَّ بِهَا الْوَحْلُ  
حَتَّى اسْتَقَرَّتْ عَلَى مَدْفِنٍ  
وَالْغَرِيقُ الَّذِي صَاحَ  
أَحْنَى عَلَى صِمْتِهِ دَجَلَةٌ الْحَبْرِ  
ثُمَّ انْتَبَهْنَا إِلَى صَوْتِهِ فِي الرَّثَاءِ  
لَمْ يَعُْدْ فِي الْفُؤَادِ مَكَانٌ لَكِي يَجْلِسَ الْطِفْلُ  
يَتْلُو ،  
وَأَيَاتُ قُرْآنِهِ أَجْهَشَتْ بِالْدَعَاءِ  
لَمْ يَعُْدْ فِي الْمَكَانِ فُؤَادٌ  
لَكِي يَخْفَقَ الْآنَ فِي غَزَّةِ الشُّهَدَاءِ

إِنَّهُمْ يَقْتُلُونَ الْعَصَافِيرَ ،

قال « الأَشْقَاءُ » في قلعة النيلِ

ثُمَّ اسْتَعَدُّوا لِكِي يَجْمَعُوا الرِّيشَ

في « شَرْمِ شَيْخِ » الـ ... بُكَاءٌ !!!

كيف لي أن أمدَّ اليدينِ إلى أختنا

في أقاصي المُحيطِ ؟!

إذا الرِّيحُ هبَّتْ شَمالاً

نعودُ إلى الخلفِ كي نحمي الأُضْرَحَةَ !

كيف لي أن أصبَّ لكِ الماءَ كي تشربي

والينابيعُ قد أصبحت من قرابيننا

مالحةٌ ؟!

لم أعدُ أذكرُ الآنَ ما قَلَّتُهُ البارحةُ !

إِنْ أَكُنْ مُتُّ

قُولِي لِأَطْفَالِي الْقَادِمِينَ : اسْتِرَاحْ

وَإِنْ عَشْتُ قُولِي لَهُمْ :

كَانَ يَغْفُو عَلَى سَاعِدِي سَاعَةً

ثُمَّ يَمْضِي إِلَى خَنْدِقٍ

حَيْثُ كُنَّا مَعًا نَحْفَرُ الْأَرْضَ

كَيْ نُخْرِجَ الْمَاءَ

ظَمَأَى إِلَى عَذْبِنَا كَانَتِ الْقُبُورَاتُ

الْوَعُولُ الَّتِي رَافَقْتَنَا طَوِيلًا

وَذَاكَ النَّبَاتُ ..

وَحِيدَيْنِ كُنَّا إِلَّا مِنَ الْحُلْمِ

تَسْعَى إِلَى دَرَبِنَا

/ رغم هذا الدمار /

الحياةُ

أموتُ إذا جئتِ يوماً لأحيا

ويَمْشي إلى نجمتي في البعيدِ

الرُّفَاتُ

أنا أنتِ يا حلوتي

حينَ نبقى معاً

كم ستأوي إلى صدرنا الكائناتُ !

أنا أنتِ يا أمَّتي

حينَ نبقى معاً

كم سترهبُنا العادياتُ !

## على شاشة الحياة

مشهد ١

أَعْوَادٌ تَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ الْأَوْتَارِ  
وَأَصْدَاءٌ تَتَأَوَّهُ تَحْتَ سَيَاطِ الرِّيحِ  
شَفَاهُ تَتَهَامِسُ كِي تُزْجِي الْوَقْتَ  
وَأُغْنِيَةٌ قَمْرَاءٌ تُحَاوِلُ أَنْ تُخْرِجَ  
مَنْ تُقْبِ فِي الْبَابِ

مشهد ٢

أَهْدَابٌ تَتَرَاكُمُ فَوْقَ عَيُونِ اللَّيْلِ

بَحَّارٌ فِي عُرْضِ الظُّلُمَاتِ

يُحَاوِلُ أَنْ يَنْسُجَ أَشْرَعَةً

لِمُرَاكِبٍ تَرُسُو

فِي حَلَبَاتِ الخَيْلِ

مشهد ٣

غَزْلَانٌ تَسَامُرُ تَحْتَ ظِلَالِ النخْلِ

وَأَشْجَارٌ تَتَزَيَّنُ كِي تَحْضِرَ أَعْرَاسَ الطَّيْرِ

سَوَاقٍ تَتَأَوَّدُ رَاقِصَةً بَيْنَ الأعْشَابِ

غَزَالٌ يَتَقَدَّمُ كِي يَشْرَبُ

وَالْأُمُّ تُرَاقِبُهُ

هَلْ تَقْرَأُ أَشْبَاحاً تَتَأَهَّبُ

خلف جدار الخوف؟!  
عيوناً تترصدُ كلَّ صغيرٍ؟!  
أنياباً يشحذها في الدَّغْلِ ذئابٌ!؟

مشهد ٤

أطيافُ رمادٍ تتحدّثُ غافيةً  
عن أيامِ العنقاءِ  
مِصباحٌ يتشاءبُ فوقِ دنانٍ  
في قبوِ العُمُرِ  
مياهٌ يتنقلُ حاملها  
ما بين الجرّةِ والنهرِ  
أفكارٌ تترنّحُ باحثةً عن نقطةِ جِبْرِ

أَوْ قَطْرَةَ مَاءٍ  
أَفْعَالٌ تَتَأَكَلُ فِي كُتُبٍ وَدِفَاتِرِ  
تَحْتَرِفُ الْأَسْمَاءَ

مشهد ٥

مَنْ يَنْقُرُ شُبَاكِي فِي عَتَمَةِ هَذَا الْوَقْتِ  
الْمُتَأَكِّلِ فِي أَقْدَامِ الطُّرُقَاتِ  
الْمَرْسُومَةِ فِي الرَّمْلِ؟  
مِنْقَارٌ أَمْ إِصْبَعٌ مَكْلُومٍ  
أَمْ أَحْرَفٌ مُشْتَقٌّ جَاءَتْ تَسْأَلُنِي  
عَنْ مَعْنَى ضِيْعَهَا  
فِي أَرْضِ الْمَحَلِّ؟!!

أَمْ فَرَّخٌ أَعْوَزَهُ الرِّيشُ

أَمْ الوَهْمُ؟!

الشُّبَّاكُ حَزِينٌ كَابِيَةٌ أَعْيُنُهُ

نَاحِلَةٌ أَضْلَعُهُ

وَبَقَايَا البَلُّورِ مَرَايَا

مَنْ زَمِنَ نَاءً عَلَى الأَعْتَابِ؟!

مشهد ٦

تَتَكَسَّرُ أَحْشَابُ المَسْرِحِ تَحْتَ الأَقْدَامِ

نَشِيحٌ أَعْمَى يَتَلَمَّسُ مَقْعَدَهُ المَكْسُورَ

بَرِيْقٌ يَخْتَرِقُ القَاعَةَ كَالرُّمْحِ

سُكُونٌ يَسْتَوِطِنُ أَضْلَاعَ الحَرَكَاتِ وَيَغْفُو

في حُضَنِ الصَوْتِ

هل أَسْمَعُ صَوْتاً؟!!

هل أَلْحُ طَيْفاً لِنَدَاءٍ يَتَسَلَّلُ

كَالْحُلْمِ رَشيقاً

يُخْرِجُنِي

من بطنِ الحوتِ؟!!

مشهد ٧

عُصْفُورٌ يَخْرُجُ من حُضَنِ البِيضَةِ

مَوْفُورَ الشَّدْوِ

يُرْفَرُ

والرَيْشُ كأوتارِ القِيثارَةِ مَشغُولٌ باللَّحْنِ

أراهُ

وأسمعُ أصداءَ الأنغامِ

فأفتحُ أبوابَ القلبِ ليدخُلَ منها

بإهابِ سُهيْلٍ

عُصفورٌ يشبهني

يَتَسَلَّلُ من نافذتي

مُنطلقاً نحو نداءِ الفجرِ

جناحاهُ من الشُّعْرِ

وعيناهُ من الرؤيا

والقلبُ دليلُ ..

## العائد

- ١ -

مِن بَعِيدٍ أَتَى

حَامِلًا فِي يَدَيْهِ الْقَنَادِيلَ مُطْفَأَةً

قال :

أَطْفَاءُهَا السَاهِرُونَ عَلَى ضَوْئِهَا

حِينَ دَاهَمَهُمْ ذَاتَ خَوْفٍ غُزَاةٌ

مِن بَعِيدٍ أَتَى

وَجْهُهُ نَصْفُ إِيْبَاءٍ نَحْوِ ضَوْءِ نَحِيلٍ

- ٢٤٤ -

يُجَاوِزُهُ

قِيلَ : ضَاقَتْ بِهِ الدَّرْبُ

طَارَدَهُ الوَحْشُ فِي غَابَةِ

ضَاعَ فِي ظُلْمَتَيْهَا الهُدَاةُ

قال لي حين لَمَّا يَجِدُ فِي الطَّرِيقِ سِوَايَ :

إِلَى أَيْنَ يَلْتَفِتُ النَّاسُ

خَاطَبْتُهُمْ ، ثُمَّ لَوَّحْتُ

لَمْ يَسْمَعُونِي

وَلَمْ يَشْهَدُوا أَذْرُعًا فِي المَدَى تَسْتَعِيثُ

إِلَى أَيْنَ أَعْيُنُهُمْ تَنْظُرُ

الرِّيحُ تَذُرُو مَوَاسِمَهُمَ وَالْحُوَاةُ ؟!

إلى أين يأخذهم ذلك الوهمُ؟!!

- يا سيّدي

أصبحَ الوهمُ حارسَهُم من عيونِ السماءِ

التي يرهبونَ كواكبها

أن تُزيلَ الغشاواتِ عن ليلهم

قالَ لي :

قد يُفِيقُ الرُّفَاتُ

- ٢ -

قَبْلَ أن يُغْلِقَ البَابَ

أوصى بأن يُتْرَكَ العُمَرُ

في قَبْوِهِ صائماً عن كلامِ تُعَذِّبُهُ

- ٢٤٦ -

نعمَةُ الهَجْرِ فِي وَقْعِهِ

كَانَ يَدْعُو إِلَى بَيْتِهِ الْأَصْدِقَاءَ

يُغْنُونَ أَشْعَارَهُمْ

يَحْلُمُونَ

وَيَبْكُونَ فِي سِرِّهِمْ حِينَ يَنَائِي بِهِمْ هَاجِسُ

عَنْ لِقَاءٍ يُرِيدُونَهُ

كَمْ سَيَهْجُو

/ إِذَا ذَكَرَ الْبُعْدَ /

هَجْرَاتِهِمْ بَغْتَةً!

كَمْ سَيَأْوِي إِلَى جَمْرَةٍ

تَبْعُ الدَّفْءَ فِي قَلْبِهِ!

كَمْ سَيَحْنُو عَلَى الذِّكْرِيَّاتِ الثَّكَّالِيَّ

وقد حار في أمرها يوم غاب  
الثقاتُ؟

- ٣ -

قد يُغني قليلاً على صخرةٍ

ثمَّ يأوي إلى كوخه

يرشفُ الماءَ من قُربةٍ ذابلهُ

قد يُغني

ولكنه لا يُغني هوىً لن يعودَ

يُغني ويذرفُ أيامه الناصلةُ

قد يُغني

ولكنه يكتُمُ الصوتَ في حلقه

- ٢٤٨ -

غُصَّةً هَائِلَةً

أَيُّ لَحْنٍ هَذَا الَّذِي يَجْعَلُ الْأَغْنِيَاتِ أَنْيْنًا

وَيُدْخِلُهَا فِي حَقُولِ الْبِكَاءِ؟!!

أَيُّ لَحْنٍ سَنَقْطِفُهُ

حِينَ نَشْتَأِقُ أَنْ نَلْتَقِيَ الْأَصْدِقَاءَ

وَلَوْ بُرْهَةً،

فِي شِعَابِ الْجَفَاءِ؟!!

قَدْ نُغْنِي

وَلَوْ بُحَّ مِنْ حَوْلِنَا

صَوْتُ أَوْلَئِكَ السَّادِرِينَ

وَلَوْ أَرْسَلُوا اللَّيْلَ وَالْعَسَسَ «الطَّيِّبِينَ»

لَكِي يُكْتَمَ الصَّوْتُ فِي أُمْنِيَاتِ النَّدَاءِ

- ٤ -

ليس لي غيرُ ليلٍ وبيدٍ

وجمهرةٍ من صغار القطا

فارقَ النومَ أجفانها في ليالٍ طوالٍ

ليس لي غيرُ ماءٍ على أُمْنِياتِ السَّحابِ

يراعُ يُكَلِّلهُ الشوكُ ظمآنَ

عُمُرٍ من التَّيِّهِ في عالمِ الحُلُمِ

يأوي إلى غيمةٍ في أعالي المُحَالِ

مَنْ سِيُونُسُنِي والمدى ضيِّقٌ؟ .....

فاتنٌ صوتُه العذبُ ،

يُبعِدُنِي عن لَمَأه الصدى

- ٢٥٠ -

فاتنٌ لحظُهُ الرَّحْبُ يَحْرُمُنِي

من مَدَاهُ العِدَا

مَنْ سِيدُنِيهِ من خَافِقِي كِي يَرَى نَبْضَهُ

حائراً في كروم الخيال؟

- ٥ -

هل سيسألني البحرُ عن موجةٍ ضائعةٍ؟

حين آتي إليه

أيسألني عن

مَحَارٍ يَفْرُ إلى شاطيءٍ في الدُّجَى؟

نُورسٍ هَامٍ في غَابَةِ هاجعةٍ؟

مَرَكِبٍ يَسْبِرُ العُمَقَ كِي يَقْرَأَ الدُّرَّ

بَحَّارَةً يَدْلِفونَ إلى قَاعَةٍ فيه كالنحلِ

- ٢٥١ -

حُورِيَّةٌ أَغْرَقَتْهُمْ زَمَانًا  
وَتُغْرَقُهُمْ كُلَّ وَقْتٍ يَحْيُونَ  
كَمْ يَحْلُمُونَ بِهَا نَجْمَةً يَانَعَةُ !!  
هل سيسألني عن شراعٍ تُعَانِدُهُ الرِّيحُ  
يَجْرِي إِلَى غَايَةِ  
ليس يُرْهِبُهُ الْمَدُّ وَالْجُزُرُ  
وَالسُّفْنُ الْخَاشِعَةُ ؟  
رُبَّمَا مَرَّ بِي صَوْتُهُ :  
قُمْ مَعِيَ أَيُّهَا الصَّبُّ  
كَيْمَا نُدَوِّنَ أَشْعَارَنَا الْمُشْرِقَاتِ  
عَلَى صَفْحَةِ الْكَوْنِ  
مِنْ فُسْحَةٍ سَابِعَةٍ

- ٦ -

هل ستَنسى أحاديثنا غابة الأرز يا صاحبي

حين نمضي إلى غامضٍ؟

هل ستَنسى مَواجعنا

ذلك الضوء طافت كواكبه حولنا؟

ذلك النبض جيشاً من الحبّ نتبعه

نحو فاتنةٍ في عيون السماء؟

هل سيذكرنا الناسُ

والشجرُ المُستنيرُ بأزهارنا

في الزمان البعيد / القريبِ

الكرومُ التي أطلعتها مَواسمنا

وثبةِ الدربِ في خَطُوننا نحو ذاك النداءِ؟

- ٢٥٣ -

هل سيذكرنا «الأصدقاء الغياري»

وقد جفّفوا ماءنا

قبل فصلِ النّماء؟

هل سننسى إذا ما احترقنا معاً

باللهيب الذي كائنا

والرماد الذي صارنا؟!!

فم بنا نفتح الباب كي يدخل الصُّبح

نرفع له قُبّةً فوقنا

علّه إن أراد الهُجوعَ تذكّر أنّنا

معاً سوف نمشي إلى حُلْمنا

خلفَ هذا الجفء..

## بين جبليْن

أنا قادمٌ

من مُرتقى جَبَلٍ يَضُمُّ البحرَ في وَلِهٍ

يُعَانِقُ مَنْكِبَاهُ القُبَّةَ الفِيحَاءَ

يَحْمِلُ صدرُهُ الزَّمنَ المُضَاءَ بما تُشعُّ

به البطولةُ ..

قادمٌ

من رَوْعَةِ الصَّخرِ المُوشَّحِ بالدَّماءِ

مُوقِعاً صوتَ الصَّهيلِ

مُعْتَقاً كَالخمرِ حُبِّي

كي أنادمكم هنا

يا أهليَ المُستقبلين قصائدي

تترنمونَ بما حفظتُم من كتابِ المجدِ

في جبلٍ يُكلِّلهُ السَّناءُ

أنا قادمٌ

ويدي تمدُّ إلى رُباكم كفَّها

خضراء كالشجرِ الوريْفِ على أكفِّكمُ

تُباركُها السماءُ

أنا قادمٌ من بيتِ صالحِ سامقِ العتباتِ

كم صقلتْ عزيمةُ النفوسِ

وكم تحدَّى سَطوةَ الغازينِ

كم رضعتْ كتائبُهُ الشُّموخَ

من الجبالِ الشُّمِّ

والعزمِ المُتَوَجِّحِ بالتوهُجِ

من قناديلِ الإِبَاءِ !

أنا قادمٌ أُهدي إلى السُّلْطَانِ

مَرْجَ سلامنا المِعْطَارَ وَهُوَ ..

هُوَ الشَّقِيقُ

الفارسُ المِقْدَامُ

والجَبَلُ الجَلِيلُ

أرى الحَمَائِمَ تَحْمَلُ الآنَ الرِّسَائِلَ

من يديه إلى العَلَاءِ كواكباً

نَسَجَتْ قَمِيصَ الفَجْرِ من لَغَةِ الفِدَاءِ

أجدادُنَا / أجدادُكُمْ .. يا أَهْلُ

بَنَّاؤُونَ بَيْتَ المَجْدِ

أركانُ هُذِي الأَرْضِ

إِنَّهُمْ الرُّسُوحُ عَلَى الْمَدَى  
وَهُمُ الْمَنَارَاتُ السَّنِيَّةُ  
حِينَ يَجْتَا حُ الظَّلَامُ رُبُوعَنَا  
وَنفوسَنَا  
وَهُمُ الْمَوَاسِمُ فِي ثَرَانَا  
إِنْ أَرَدْنَا ،  
وَالنَّمَاءُ  
وَهُمُ الْمَعِينُ الثَّرُّ لِلرُّوحِ الشَّفِيفَةِ  
فِي إِهَابِ الْكِبْرِيَاءِ ..  
أَنَا قَادِمٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ  
وَمِنْهُمْ نَحْوِي يَمُدُّ الْأُقْحَوَانَ أَكْفَ نَشْوَتِهِ  
بِأُوتَارِ الْغِنَاءِ

# فهرس

الصفحة

---

الإهداء ..... ٥

## فـي دفتر الشاعر

الاستهلاالات	٩
استهلالٌ أوّل	٩
القصيدة	٩
استهلالٌ ثانٍ	١٣
ومضات	١٣
استهلالٌ ثالث	١٩
تَعْقِيب	٢٧

٢٩	تَحذِير
٣٢	مُرَاقِبٌ أَوَّل
٣٤	مُرَاقِبٌ ثَانٍ
٣٦	مُرَاقِبٌ ثَالِث
٣٩	مُرَاقِبٌ رَابِع
٤١	وَرَقَةٌ أَوَّلَى
٤٤	وَرَقَةٌ ثَانِيَةً
٤٨	وَرَقَةٌ ثَالِثَةً
٥٥	وَرَقَةٌ رَابِعَةً
٥٧	الْوَرَقَةُ مَا قَبْلَ الْأَخِيرَةِ

### عَصِي الدَّمَع

٦٧	شَاهِدَةٌ
٦٩	احْتِمَالَات
٧٤	حُلْمٌ أَوَّل

٧٦	.....	حُلْمٌ ثَانٍ
٧٩	.....	حُلْمٌ ثَالِثٌ
٨١	.....	نَدَاءٌ أَوَّلٌ
٨٣	.....	نَدَاءٌ ثَانٍ
٨٥	.....	جَوَارٍ
٨٨	.....	تَسْأُولٌ أَوَّلٌ
٩٠	.....	تَسْأُولٌ ثَانٍ
٩٣	.....	صَوْتٌ أَوَّلٌ
٩٥	.....	صَوْتٌ ثَانٍ
٩٨	.....	صَوْتٌ ثَالِثٌ
١٠٠	.....	إِطْلَالَةٌ
١٠٥	.....	صَدْيٌ أَوَّلٌ
١١٢	.....	غَسَقٌ
١٢٢	.....	صَدْيٌ ثَانٍ
١٢٥	.....	صَدْيٌ ثَالِثٌ
١٣٠	.....	صَدْيٌ رَابِعٌ

### من إيقاعات التُّخْتِ الشَّرْقِيِّ

قانون	١٣٥
خيول الوقت	١٤٥
بعيداً عن الصمت	١٥٣
غريبان	١٥٩
مَحْكَمَةٌ	١٦٤
رقيم	١٦٤
تَرْجِيعٌ أَوَّلٌ	١٧٤
تَرْجِيعٌ ثَانٍ	١٧٨
تَرْجِيعٌ ثَالِثٌ	١٨١

### تقاسيم على قيثارة الروح

رواية	١٨٩
طَيْفٌ	١٩١
على صَهْوَةِ الرِّيحِ	١٩٥

## الصفحة

---

٢٠١	مثل طَيْرٍ على شَجَرٍ .....
٢٠٥	مُحاوَلات .....
٢٠٨	وَجَمَعْتُ ما نَثَرَ الكَلَامُ .....
٢١٤	لَمْ يَبْقَ سِوَاكَ .....
٢٢٢	مَنْ هُنَا يَعبُرُ الصُّبْحُ .....
٢٢٧	نَموتُ لِتَحِيَا .....
٢٣٧	على شاشَةِ الحَيَاةِ .....
٢٤٤	العائِد .....
٢٥٥	بَينَ جَبَلَيْنِ .....
٢٥٩	فَهرس .....

الطبعة الأولى / ٢٠١٦ م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة